المحاسن والأضداد

عبد الرحمن محمد

تأليف

(أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى)
(إمام أهل الادب المتوفى سنة ٢٢٥ هـ)

(الطبعة الاولى)
سنة ١٣٣٢ هـ

(محل مبيعه)
بمكتبة ملتزمه حضرة محمود أفندى توفيق الكتبي بشارع
الحلوجى بجوار الازهر بمصر

(طبع بمطبعة الفتوح الادبية)
التى مركزها بجوار سيدى عبدالله الجوينى بشارع النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه القدرة على التقديم والتاخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا نقابا وتقريبا بليغا وحاذقا فطنا وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا الىّ وموسوما بى . وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة ويأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تأليفى . وهذا كتاب وسمته « بالمحاسن والاضداد » لم أسبق الى نحلته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شىء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد

(محاسن الكتابة والكتب)

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون . ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور ونقشا فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخا لامر جسيم أو عهدا لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية . ومنهم من يفرط فى العلم أيام خموله وترك ذكره وحداثة سنه . ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وأن يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير . وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الاريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا

واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب معه . هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء . وقال آخر . الكتاب جليس لا مؤنة له . وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة . وقال آخر ذهبت المكارم الا من الكتب

﴿ قال الجاحظ ﴾ . وأنا أحفظ وأقول . الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشي ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيى من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بيانا ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافاة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم

البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غباً وورده خمساً وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وان أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم واصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض واصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء انعام ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير ان الناس يتحدثون باحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الادب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً . وقال لقمان لابنه يا بنى نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب . وقال الزهرى . الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم . وقال اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو فى حائط . وقال منصور ابن المهدى للمامون . أيحسن بنا طلب العلم والادب قال . والله لان أموت طالباً للادب خير لى من أن أعيش قانعاً بالجهل قال . فالى متى يحسن بى ذلك قال ما حسنت الحياة بك .

ضد

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه . وكان الوليد بن عبد الملك لحنة فدخل

عليه اعرابى يوما فقال انصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحى لا اعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز أن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ماهذا قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه . قال لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى اتعلمه . قال وسمع اعرابى مؤذنا يقول . أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا قال وقال رجل لزياد . أيها الامير ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ماضيعت من نفسك اكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله اباك حيث ترك ابنا مثلك . وقال مولى لزياد . أيها الامير احذوا لنا همار وهش . فقال . ماتقول . فقال احذوا لنا ايرا . فقال زياد . الاول خير من الثانى . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . فاقد أوذيتا أمير المؤمنين . فقال عمر للحاجب . أنت والله اشد اذاءمنهما قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن . قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها . فقال القاسم التمار هذا على قوله .

انّ سُليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر . قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلامه ثلاثا فلما أجابه قال . من لدن دأوتك الى أن دينى ما كنت تصنأ . يريد دعوتك وجئتنى وتصنع . ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال . يا ماسرجويه انى لاجد فى حلقى بحجا . قال هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فاجبته بضدها .

﴿ محاسن المخاطبات ﴾

حكوا عن ابن القرّية . انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال . من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين . قال ولد أمير المؤمنين . قال بارك الله فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك . قال فشحن فاه درا . قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك . قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال مالك قال

سوامِى سوامُ المكثر بن تجملا * ومالى كما قد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلتُ لها اقصرى * فذلكَ شيء ماالـيه سبيلُ
وكيف أخافُ الفقر أواحرمُ الغنا * ورأىُ أمير المؤمنين جميلُ

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل

فقال الرشيد . هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين ألف درهم . قال اسحاق . يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري بأكثر مما مدحتك به . قال الاصمعي . فعلمت انه أصيد للدراهم مني ./ قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت . قال . أنا الناشىء في دولتك المتقلب في نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المامون . بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة و يعطى مائة ألف درهم تقوية له ./ قال و وصف يحيي بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المامون فقال ليحيي يوما . أدخل الى هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فأوصله فلما مثل بين يديه وقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال . فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده . فقال له الرشيد . أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئا أدركك عند انقطاعك انه لحسن وأحسن ثم جعل لا يساله عن شيء الا رآه فيه مقدما فضمه الى المأمون ./ قال وقال الفضل بن سهل للمامون وقد ساله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتاخر ذلك . هب لوعدك مذكرا من نفسك وهنيء سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حثا على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود . فقال . قد جعلت اليك اجابة سؤالي عني بما ترى فيهم وآخذك في التقصير فيما يلزم لهم من غير استثمار أو معاودة في اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذا لا تجدي معرفتي بما يجب لامير المؤمنين الهناء به عما يديم له منهم حسن الثناء و يستمد بدعائهم طول البقاء . وقال الفضل بن سهل للمامون . يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها في غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك ./ قال ودخل العتابي على المامون فقال . خبرت بوفاتك فغمتني ثم جاءتني وفادتك فسرتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني ما بدالك قال يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة ./ قال وقدم السعدي أبو وجزة على المهلب بن أبي صفرة . فقال اصلح الله الامير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان

قمت بها فاهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى مافى بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فاخذها . وقال

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك من بالشرق قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها . وقد قال الاصمعى

أ مالو أعى كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت * لقيل أنا العالم المقنع
ولكن نفسى الى كل شىء * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل فى مجلس * وعلمى فى الكتب مستودع
ومن يك فى علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت * وعلمك فى الكتب مستودع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب ما ينفع

وقال بعضهم . الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل . وفيها قال الشاعر

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقيل . العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر . فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا . كما قال

وان من أدبته فى الصبى * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه

والصبى عن الصبى افهم وهو له آلف واليه انزع . وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل . وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لان الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ضده﴾

قال دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطيب فقال انى أكلت من لحوم الجوازى

وطسئت طساة فاصابني وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء. قال نعم خذ خوفقا وسربقا وزقزقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدري ما تقول قال ولا انا دريت ما قلت. قال وقال يوما آخر اني أجد معمعة في قلبي وقرقرة في صدري فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهي ضراط غير نضيج . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الامير ان لي على هذا حقا قد غلبني عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعني عنجدا واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقاني في لقم الا اقتضاني ذهبا فقال له الهيثم امن بني امية انت قال لا قال افمن بني هاشم أنت قال لا قال أفمن اكفائهم من العرب قال لا قال ويلي عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال اصلحك الله أن ازاري مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب في موضع لتركه في هذا الموضع قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون في أذنه فافلت من أيديهم فقال مالكم تتكأكؤن على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية قال وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن ابيا ولا تردن آتيا فوضع الحجام محاجمه في جونته وانصرف

(محاسن المكاتبات)

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تامله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتي بك تجد الشكر وافيا بالنعمة فكتب اليه الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه أما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبتني جفاء من غير ذنب فاطمعني أولك في احسانك وأيأسني آخرك من وفائك فلا انا في غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا في غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف ايضاح الرأي فيك فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف. قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه. ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوي الاسنان ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام

السودد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته غضبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وانا شفيعه فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتتوى (١) ما أفدته. فعفى عنه ورده الى عمله . قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه . أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين . فرضى عنه. قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله بمض فكتب اليه . أما بعد فقد تركتنى منتظرا لوعدك منتجزا لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أولا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل وقد قلت بيتى شعر

بسطت لسانى ثم أوثقت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك مطلق

فان أنت لم تنجز عداتى تركتنى * وباقى لسان الشكر باليأس موثق

قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا . أما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . فكتب اليه المامون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما وقفناك عليهما قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المامون كتابا يستعطفه على الجند كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تاخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المامون والله لاقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المامون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المامون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله فلما قرأ المامون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمر وفما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتاخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة ألف درهم صلة على دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له . وحدثنا اسماعيل بن شاكر قال لما أصاب اهل مكة السيل

---

(١) التواء الهلاك

الذي شارف الجرومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين الى المأمون ان أهل حرم الله وجيران بيته والاف مسجده وعمرة بلاده قد استجار وابعز معروفك من سيل تراكمت أخرياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الاثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والآباء والاجداد فاجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم قال فوجه اليهم المامون بالاموال الكثيرة وكتب الى عبيد الله. أما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على صحة نيته قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التى أنفذها اليهم قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سال الدخول فيه قال وكتب على ابن هشام الى اسحق بن ابراهيم الموصلى ما أدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق والتقى ولا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الى صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير أنه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضده ﴾

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشمرى للموت لناقبلة وقرأت أيضا على عنوان كتاب الى الذى كتب الىّ

(محاسن الجواب)

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ أربعين سنة قال فانت تأكلها أربعين سنة ما عليك أن يأكل عاملى منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فاخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه

وأمر برد ضيعته وصيره فى خاصته . ويقال ان سعيد بن مرة الكندى حين أتى معاوية . قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة . قال ودخل السيد بن أنس الازدى على المامون فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس . قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر منى وأنا ولدت قبله . قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه . قيل ووقف المهدى على امرأة من بنى ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال مامنع طيا أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فاعجب بقولها ووصلها قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لى بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت باهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان فما اعرف لنا مثلا الا قول الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

فما وجد احد جوابا أحسن من هذا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك ! ماشىء رزقى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الى من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئا

(ضده)

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال . بابى أنت وأمى يا رسول الله أنه لمطعام . جواد الكف مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان بابى أنت وأمى يارسول الله أنه ليعرف منى أكثر من هذا ولكنه يحسدنى . فقال عمرو والله يانبى الله ان هذا لزمر المروءة ضيق العطن لئيم العم أحمق الخال فرأى الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يارسول الله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى ولكنى رضيت فقلت أحسن ماعلمت وسخطت فقلت أسوأ ما اعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما . وذكروا ان الوليد بن عتبة قال لعقيل بن أبى طالب . غلبك على الثروة والعدد . قال وسبقنى واياك الى الجنة . قال الوليد أما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان . قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كنيح الميسر . فقال الوليد والله انى لارى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لو ردوا صعودا . فقال له عقيل كلا أما ترغب عن صحبة ابيك . قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم . قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان

جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم . قال له خالد من أى قريش أنت . قال من عبد الدار ابن قصي بن كلاب . قال لقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصي فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا . قيل ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له . يا أبا فراس من القائل

هو القينُ وابنُ القينِ لاقينَ مثله * لفطحِ المساحى أو لجدْلِ الاداهم

قال الفرزدق الذى يقول .

هو اللصُّ وابن اللص لالصَّ مثله * لنقبِ جدارٍ أو لطرِّ الدراهم

﴿ محاسن حفظ اللسان ﴾

قال اكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكيه - يعني لسانه - وقال رب قول اشد من صول وقال لكل ساقطة لاقطة وقال المهلب لبنيه اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته و يزل لسانه فيكون فيه هلاكه قال يونس بن عبيد ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان وقال قسامة بن زهير يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر وكان يقال ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه . وقال الشاعر

عليك حفظ اللسان مجتهداً * فانَّ جلَّ الهلاكِ فى زَلَلِه

غيره

وجرح السيف تأسوه فيبرأ * وجرح الدهر ماجرح اللسان
جراحات الطعان لها التئامٌ * ولا يلتام ماجرح اللسان

غيره

احفظْ لسانك لاتقول فتبتلى * انَّ البلاء موكلٌ بالمنطق

غيره

لعمرك ماشىءٌ علمت مكانه * أحقُّ بسجنٍ من لسان مذلل
على فيك ممالیس بعنيك قوله * بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

وقيل تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى أنا

على رد مالم أقل أقدر منى على رد ما قلت . وقال ملك الهند . اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها . وقال قيصر . لا أندم على مالم اقل وقد ندمت على ما قلت . وقال ملك الصين عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول . وقال بعضهم . من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة فى العلم . وقال بعض الحكماء . من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن . وقال بعضهم . كان ابن عبيدة الريحانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى . كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام وكان يقال . من سكت فسلم كان كمن قال فغنم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام يرحم الله امرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال . أنسانى أول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتفاوته ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال . لها ما يبكيك قالت تقتل ظلما قال وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظالما . وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعنى المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فقلت فى نفسى صممت الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضده ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل منه وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى ووالله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار فى يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضررا من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العى وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن وممن أفرط فى قوله فاستقيل بالحلم ماحكى عن شهرام المروزى فانه جرى بينه وبين أبى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يالقطة فصمت أبو مسلم وندم شهرام على

ماسبق به لسانه وأقبل معتذرا خاضعا ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق و وهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى لاننى جرّأتك على نفسى بطول احتمالى منك فان كنت معتمد الذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنالك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غرورا قال أجل قال وان عظيم ذنبى لن يدع قلبى يسكن ولجّ فى الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجبا كنت تسىء وأنا أحسن فاذا أحسنت أسات

﴿ محاسن كتمان السر ﴾

قال كان المنصور يقول الملك يحتمل كل شىء من أصحابه الا ثلاثا افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملكه وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم وقيل لابى مسلم باى شىء أدركت هذا الامر قال ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتى وحزت بغيتى وأنشد فى ذلك

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

قال . وقال عبد الملك بن مروان للشعبى لما دخل عليه . جنبنى خصالا أربعا لا تطرينى فى وجهى ولا تجربن على كذبة ولا تغتابن عندى أحدا ولا تفشين لى سرا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم . استعينوا على انجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود . وأنشد اليزيدى فى ذلك

النجم أقرب من سر اذا اشتملت * منىّ على السرّ أضلاعٌ وأحشاء

غيره

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى * من السرّ ما يطوى عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سرّ أهله * اذا عقد الاسرار ضاع كثيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه * على ذاك منه صدق نفس وخيرها

قال معاوية ابن أبى سفيان . أعنت على على ابن أبى طالب باربع خصال كان رجلا ظهرة علنة لا يكتم سرا وكنت كتوما للسر وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجاة وكنت

أبادرالى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فنلت ماشئت فالله من جامع الى ومفرق عنه . وكان يقال . لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلام من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله. وقال بعضهم. كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشائك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه . وقال بعضهم ماأقبح بالانسان ان يخاف على مافى يده من اللصوص فيخفيه و يمكن عدوه من نفسه باظهاره مافى قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له وقال معاوية ما أفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين اضلاعى الا أكسبنى مجدا وذكرا وسناء و رفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص وكان يقول ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوء ما كنت واجدا لها فى الخير مذهبا وما كافات من عصى الله فيك بافضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء وحدث ابراهيم بن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل مافعل . فانشد

تقسمنى أمران لم أفتتحهما * بحزم ولم تعركهما لى الكراكر
وماساور الاحشاء مثل دفينة * من الهم ردتها اليك المعاذر
وقد علمت أفناء عدنان أننى * على مثلها مقدامة متجاسر

وقال آخر

صن السر بالكتمان يرضيك غبه * فقد يظهر السر المضيع فيندم
ولا تفشين سرا الى غير أهله * فيظهر خرق الشر من حيث يكتم
ومازلت فى الكتمان حتى كأننى * برجع جواب السائلى عنه أعجم
لتسلم من قول الوشاة وتسلمى * سلمت وهل حى على الدهر يسلم

وقال آخر

أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر
ولو لم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

وقال أبو نواس

لا تُفش أسرارك للناس * وداوِ أحزانك بالكاس
فان ابليس على ما به * أرأفُ بالناس من الناس

وقال المبرد . أحسن ما سمعت فى حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

لعمرُكَ انَّ وشاةَ الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا
فلا تبدِ سرَّكَ الا اليك * فان لكل نصيحٍ نصيحا

(وقال العتبى)

ولى صاحبُ سرى المكتمِ عنده * محاريقُ نيرانٍ بليل تحرّقُ
غدوتُ على أسراره فكسوتها * ثيابا من الكتمانِ ماتتخرّق
فمن كانت الاسرارُ تطفوا بصدره * فاسرار صدرى بالاحاديث تغرق
فلا تودعنَّ الدهرَ سرك أحمقاً * فانك انْ أودعته منه أحمق
وحسبكَ فى سترِ الاحاديثِ واعظا * من القولِ ما قال الاديبُ الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ الا كلُّ ذى خطر * والسرُّ عند كرامِ الناس مكتوم
والسر عندىَ فى بيتٍ له غلقٌ * قد ضاع مفتاحه والباب مردوم

قيل . دخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عتبة فقال ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى اذاعة سرك . فقال

من كان يزعم أن سيكتم حبه * أو يستطيع الستر فهو كذوب
الحبُّ أغلب للرجال بقهرهِ * مِنْ أن يرى للسر فيه نصيب
واذا بدا سرُّ اللبيب فانه * لم يبد الا والفتى مغلوب
انى لاحسدُ ذا هوًى مستحفظا * لم تتهمه أعينٌ وقلوب

فاستحسن المهدى شعره وقال . قد عذرناك على اذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته . وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت

بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الى أحد رجلين اما آخرى يرجو ثواب الله أو دنياوى له شرف فى نفسه وعقل يصونه به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر وقال المهلب ماضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر كما قال الشاعر

ولربما كتم الوقور فصرحت * حركاته للناس عن كتمانه
ولربما رزق الفتى بسكوته * ولربما حرم الفتى ببيانه

وقال آخر

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر

لسانى كتوم لاسراركم * ودمعى نموم لسرى مذيع
ولولا الدموع كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لى دموع

﴿ محاسن المشورة ﴾

يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ماعليه ويقضى الله فى أمره مايحب وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه وقال آخر المشورة تقوم اعوجاج الرأى وقال آخر اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن

(ضده)

قال بعض أهل العلم لولم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطراح ماتفيده المشورة والقاء مايكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسى ضعيفا وكان عندى قويا وتصاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأداك الاستبهام الى الخطا الفادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل فى العيون مهيب فى الصدور ولن تزال كذلك مااستغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة

اليهم . وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر على فقال لا أدري بم أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه . قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أيد الله الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظهرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا . قال صدقت وانصرفت

﴿ محاسن الشكر ﴾

قال بعض الحكماء . صن شكرك عمن لا يستحقه واسترماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل ابن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقد ثبتت في القلب منك مودة ❊ كما ثبتت في الراحتين الاصابع

قال . واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو كان تحتك لاقلك . وقال كسرى أنوشروان المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهسان علينا أن نقول وتفعلا

الباهلي عن أبي فروة قال . مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر . وانشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ❊ لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب . يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب . من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني

و بين عبدى . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فى هذا الاجتهاد فقال . أفلا أكون عبدا شكورا . وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم ربنا لك الحمد حمدا مباركا طيباً زكيا فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا . وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر . وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه المعروف يكفر من كفره لانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين وقد قيل فى ذلك

يد المعروف غنمٌ حيث كانت * تحملها كفور أم شكورُ

فعندَ الشاكرينَ لها جزاءٌ * وعندَ الله ما كفر الكفورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يجزيكَ أو يثنى عليكَ وإن من * أثنى عليك بما فعلتَ كمن جزى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل ياعائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر . وقيل لذى الرمة لم خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك . قال لانه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى . ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر و ينسبه الى مكارم الاخلاق . من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافاة . وقال بعض الحكماء ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر . وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان و رفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفى فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارسا وللحق مؤديا وللمزيد سببا

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء . المعروف الى الكرام يعقب خيرا والى اللئام يعقب شرا ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الافاعى فيعقب سما . وقال سفيان

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال أنار جماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بى فانصرفوا وقد كانت هزيلا فاحضر لها القاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم فى ذلك

ومنْ يصنع المعرُوف مع غير أهلهِ * يلاقِ الذى لاقى مجير أمّ عامر
أقام لها لما أناختْ ببابهِ * لتسمعنَ ألبان اللقاح الدّرائرِ
فاسمنها حتى اذا ما تمكنتْ * فرتهُ بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعرُوف هذا جزاءُ منْ * يجودُ باحسان الى غير شاكر

قيل . وأصاب اعرابى جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابى يذكر ذلك

غذتك شويهتى ونشأت عندى * فمنْ أدراك أنّ أباك ذيبُ
فجعت نسيّةً وصغارَ قوْم * بشاتهم وأنت لها رَبيبُ
اذا كان الطباع طباع سوْءٍ * فليس بنافع أدب الاديبُ

وفى المثل سمنْ كلبك يأكلك . وأنشد

هم سمّنوا كلبا ليأكل بعضهم * ولو عملوا بالحزم ما سمّنوا كلبا

(وقال آخر)

وانى وقيسا كالمسمن كلبه * تخدّشه أنيابهُ وأظافرهُ

ويضرب المثل بسنمار . وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فاعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات فقيل فيه

جزينا بنى سعد بحسن بلائهم * جزاء سنمّارٍ وما كان ذا ذنب

وقال بشار (١)

انى عليك ولى حالٌ تكذبنى * فيما أقول فاستحيى من الناس
قد قلت ان أباحفص لاكرم من * يمشى فخاصمنى فى ذاك افلاسى
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حالى عندها راسى

---

(١) المشهور . ان الابيات لابى العتاهية . وأولها

يا ابن العلاء و يا ابن القرم مرداس * انى أثبتك فى صحبى وجلاسى

ولابى الهول

كانى اذ مدحتك يابن معن * رآنى الناس فى رمضان أزنى
فان أك رحت عنك بغير شىء * فلا تفرح كذلك كان ظنى

وقال آخر

لحى الله قوماً أعجبتهم مدائحى * فقالوا مقالا فى ملام و فى عتب
أبا حازم تمدح فقلت معذرا * هبونى امرأ جربت سيفى فى كلب

وقال آخر

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمدا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال آخر

يحب المديح أبو خالد * ويغضب من صلة المادح
كبكر تحب لذيذ النكاح * وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكرونى أيها الثقلان

(محاسن الصدق)

قال بعض الحكماء . عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعزمن الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب أتهم فى الصدق . وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور . وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه انفة . وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقا فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومدح قوم بالصدق منهم أبوذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أوصدق من أبى ذر . ومنهم العباس

ابن عبد المطلب رضي الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يامرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل فقال بل تعلمني يا رسول الله فقال . لانك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا . قال والذي بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . اني استسرّ بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن أحببتَ تركته . قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسالني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ماجعلته له وان أقررتُ حددت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فاما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . لا يصلح الكذب الا في ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب في اصلاح ما بين الناس وكذب في حرب وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص لاحد في الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فاذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستلّ وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فاخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبرت به فاعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي بن أخطب وقتل زوجها وأباها . ثم قال اكتم عليّ اليوم وغدا حتى أمضي ففعل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا ومن أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

(ضده)

قيل . وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك . وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل كفاك موبخا على الكذب علمك بانك كاذب

وقال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة . وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند . وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك . وكذلك يقال أكذب من سياح خراسان . لانهم يجتازون فى كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب . وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين . ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل * ومما قيل فى ذلك من الشعر

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
ما إن سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

(وقال آخر)

لقد أخلفتنى وحلفت حتى * اخالك قد كذبت وان صدقتا
ألا لا تحلفن على كلام * فأكذب ما تكون اذا حلفتا

(وقال آخر)

قد كنت انجز دهرا ما وعدت الى * أن أتلف الوعد ما جمعت من نشب
فان أكن صرت فى وعدى أخا كذب * فنصرة الصدق أفضت بى الى الكذب

قال الاصمعى . قال الخليل بن سهل . يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه نحدثه بهذا فذهبت به الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى . قد سمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ماشأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فالقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها . فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخى ما بيننا شيئا الا وهو دون الراقود . قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم . نحن كما قال الله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) * قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شىء من الادب . لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئا قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها فقالوا نحن نحتال لك فاخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى ابن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شىء غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفا مليحا فاعجب به وعرض

عليه مالا فأبى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى على بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المدينى ومكانه من على فأتى المدينى القائد عشيا فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلنى على بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام و يقول قد كلمت أمير المؤمنين فى أمرك و رضى عنك وأمر برد مالك وضياعك و يأمرك بالغدو اليه لتغدو امعه الى أمير المؤمنين متشكرا فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكرا فقال له على وما ذاك قال أخبرنى أبو فلان ـ وهو الى جنبه ـ كلامك أمير المؤمنين فى أمرى و رضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال ماهذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك على وقال على بدابتى و ركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى . وقال انا قد رضينا عن الرجل و رددنا عليه ماله . وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله . وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

(محاسن العفو)

قيل . أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلنى فقال أطلقوه فقال . أيها الامير اجعل لى ما وهبت لى من عمرى فى خفض عيش فقال اعطوه مائة ألف درهم قال . بأبى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال لم قال لقوله فيك

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت ولا له كبرياء

فضحك مصعب وقال . لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سال عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرض له بان تكلمنى وتسالنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر المامون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذى تفسد

فى الارض بغير الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كاس المنية فقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تبقينى حتى أؤ بدك بما قال قال لا سبيل الى ذلك فقال يا أمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فانشده

زعموا بان الباز علق مرة * عصفور بز ساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه * والباز منقض عليه بطير
مابى لما يغنى لمثلك شبعة * ولئن أكلت فاننى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه * كرما واطلق ذلك العصفور

فقال له المامون أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فاطلقه وخلع عليه ووصله * وعن بعضهم ان واليا أتى برجل جنى جناية فامر بضربه فلما مد قال . بحق رأس أمك الا ما عفوت عنى قال أوجع فقال بحق خدها ونحرها قال أضرب قال بحق ثدييها قال أضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الرجل اذا ظلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا * وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما وقد سئل عن ذلك فقيل . أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه * وقال . فضيل بن عياض بكى أبى فقلت ما يبكيك فقال أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غدا اذا وقف بين يدى الله عز وجل وساله فلا تكون له حجة . وقال الحسن البصرى أيها المتصدق على السائل برحمه ارحم أولا من ظلمت وروى عن عبد الله بن سلام قال قرأت فى بعض الكتب قال الله عز وجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى قال . خالد بن صفوان اياكم ومجانيق الضعفاء ـ يعنى الدعاء

﴿ ضده ﴾

قيل لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمى فى وقعته . بالبشر فوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ثدى فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال . أما الجحاف فجذوة من نار جهنم قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فاتى برجل تلا آية ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالى فتلوتها قال والله لاعملن فيك بالآية الثانية ﴿واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر * قال وبعث زياد الى رجل من بنى تميم

فقال أخبرونى بصلحاء كل ناحية فاخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق. وقال لوضاع بينى وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير فى الناس . قال انظر الى عجوز أدركت زيادا فاسئلها عن سيرته فاعمل بها. فاخذ والله بسنته حتى ما ترك منها شيئا. وذكروا ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضى الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتينى بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدى الحجاج فارسل الحجاج الى رجل من بنى أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم نخلطه بين أسيافه ثم قال أخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرجت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج أما والله لو لم تجئنى به وجئت بغيره لضربت به رأسك . وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه . أعسس بنفسك فمن وجدته فجئنى به فلما أصبح أتاه بثلاثة . فقال أصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة . فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى منادى ان لا يخرج أحد بالليل. قال أصلح الله الامير كنت سكران فغلبنى السكر فخرجت ولا أعقل ! ففكر ساعة . ثم قال سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن . ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال . أصلح الله الامير كنت مع قوم فى مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسى فخرجت . ففكر الحجاج ساعة . فقال رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال لى والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتى فقالت والدتى ما ذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فاخذنى العسس. ففكر ساعة. ثم قال يا غلام اضرب عنقه فاذار أسه بين رجليه

(محاسن الصبر على الحبس)

قال الكسروى. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول فى الحبل كان فيه عطبة ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس . فقال يخاطبه

إصبر لها صبرَ أقوام نفوسهم * لاتستريح إلى عقل ولاقود

فقال الافشين . من صحب الزمان لم ينج من خيره أوشره ووجد الكرامة والهوان . ثم قال .

لم ينج من خيرها أوشرّها أحدٌ * فاذ كرشوائبها إن كنت من أحدِ
خاضت بك المنية الحمقاءَ غمرتها * فتلك أمواجها ترميك بالزّبد

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالت حبستَ فقلت ليس بضائرى * حبسى وأىُّ مهندٍ لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرًا وأوباش السباع تردّد
والنار فى أحجارها مخبوءةٌ * لاتصطلى إن لم تثرها الازند
والبدر يدركه الظلام فتنجلى * أيامه وكأنه متجدّد
والزّاعبية لايقيم كعوبها * الا الثقاف وجذوةٌ تتوقد
غير الليالى بادِئاتٌ عوّدٌ * والمال عاريةٌ يفاد وينفد
لايؤيسنّك من تفرُّج كربةٍ * خطبٌ أتاك به الزمان الانكد
فلكل حال معقبٌ ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غدٌ * ويد الخلافة لا تطاولها يد
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
لولم يكنْ فى الحبس الا أنه * لايستدلك بالحجاب الاعبد
بيتٌ يجدد للكريم كرامةً * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه * خوف العدى ومخاوفٌ لاتنفد
أنتم بنوعم النبي محمد * أولى بما شرع النبيُّ محمد
ما كان من حسن فانتم أهله * كرمت مغاربكم وطاب المحتد
أمن السوية يابن عم محمد * خصمٌ تقربه وآخر يبعد
ياأحمد بن أبى دؤاد انما * تدعى لكل كريهة يا أحمد
ان الذين سعوا اليك بباطل * أعداء نعمتك التى لاتجحد

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا ... فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك منزل ... يوماً لبان لك الطريق الارشد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد

(ضده)

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف . قوله

قالت حبست فقلت خطب أنكد ... أنحى على به الزمان المرصد
لو كنت حراً كان سربى مطلقا ... ما كنت احبس عنوة واقيد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن ... وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت ... فى الذئاب وجذوتى تتوقد
من قال ان الحبس بيت كرامة ... فكاشر فى قوله متجلد
ما الحبس الا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارنى فيه العدو فشامت ... يبدى التوجع تارة و يفند
أو زارنى فيه المحب فموجع ... يذرى الدموع بزفرة تتردد
يكفيك أن الحبس بيت لا يرى ... أحد عليه من الخلائق يحسد
تمضى الليالى لا أذوق لرقدة ... طعما وكيف يذوق من لا يرقد
فى مطبق فيه النهار مشاكل ... لليل والظلمات فيه سرمد
فالى متى هذا الشقاء مؤكد ... والى متى هذا البلاء مجدد
مالى مجير غير سيدى الذى ... مازال يكفلنى فنعم السيد
غذيت حشاشة مهجتى بنوافل ... من سيبه وصنائع لا تجحد
عشرين حولا عشت تحت جناحه ... عيش الملوك وحالتى تتزيد
فخلا العدو بموضعى من قلبه ... فحشاه جمرا ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطولا ... فالحقد منك سجية لا تعهد
واذكر خصائص خدمتى ومقاومى ... أيام كنت جميع أمرى تحمد

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا
اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا مجيئها وان قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

(وقال آخر)

ألا أحد يدعو لاهل محلة مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

(وقال ابن المعتز)

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك الا بدور الفلك
ألم تبصر الطير فى جوها تكاد تلاصق ذات الحبك
اذا أبصرته خطوب الزمان أوقعته فى حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد * ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد فى البيت الذى قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك بعد طوال الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها * طوباك ياليتنى اياك طوباك

وقال اعرابى

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفى الباب مكتوب على صفحاته بانك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فاوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه) ولو قلت العافية أحب الى لعوفيت قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

(محاسن المودة)

قال بعض الحكماء ليس للانسان نعم الا بمودات الاخوان * وقال آخر الازدياد من

الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال وقيل عاشر والناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وقال

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم * ودٌ فيزرعه التسليم واللطف
يسلى الشقيقين طول النأى بينهما * وتلتقى شعبٌ شتى فتأتلف

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين . أبذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار وقال العباس بن جرير . المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال . وقال بعضهم من يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بإيثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكنّ إخوان الثقات الذخائر

(ضده)

قال المامون . الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه . وكتب بعض الكتاب ان فلانا أولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه ما دام مطبقا فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره . ومما قيل فى ذلك

والله لو كرهتْ كفى منادمتى * لقلت للكفّ بينى إذ كرهتنى

وقال آخر

ولو أنى تخالفنى شمالى * لما أتبعتها أبدا يمينى
إذا لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

من لم يردك فلا ترده * ليكن كمن لم تستفده
باعد أخاك يبعده * فاذا نأى شبرا فزده

وقال آخر

توُدُّ عدوى ثم تزعم أنني ... أوُدُّك ان الرأى منك لعازب
وليس أخى من ودَّنى رأى عينه ... ولكنْ أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر

ان اختيارك لا عن خبرة سلفت ... الا الرجاء ومما يخطىء النظر
كالمستغيث يظن السيل يحسبه ... حرزا يبادره اذ بله المطر

وقال آخر

وصاحب كان لى وكنت له ... أشفق من والد على ولد
وكان لى مؤنساً وكنت له ... ليست بنا وحشةٌ الى أحد
كنا كساق مشت بها قدم ... أوكزراع نيطت الى عضد
حتى اذا أمكن الحوادث من ... حظى وحل الزمان من عقدى
إزور عنى وكان ينظر من ... عينى ويرمى بساعدى ويدى
حتى إذا استرفدت يدى يده ... كنت كمسترفد يد الاسد

وقال آخر

فيا عجبا لمن ربيت طفلاً ... ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى
أعلمه الفتوة كل حين ... فلما طر شاربه جفانى
أعلمه الرواية كل وقت ... فلما صار شاعرها هجانى

(محاسن الولايات)

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال . هى حلوة الرضاع مرة الفطام وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال . يا أمير المؤمنين من أنا قال . عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وماذاك قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل و يحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسات الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك

فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئا قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقد أبدلنى بكم خيرا وأبدلكم بى غيرى وولانى العراق . وعن معمر بن وهيب قال . كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أى هذين شئتم . يعنى أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك ـ مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه . فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب . عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولى النفاطات فاظهر تيهاً

لعمرى لقد أظهرت تيها كأنما * توليت للفضل بن مروان عكبرا
دع الكبر واستبق التواضع إنه * قبيح بوالى النفط أن يتغيرا
لحفظ عيون النفط أحدثت نخوة * فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز

كم تائه بولاية * وبعزله يعدو البريد
سكر الولاية طيب * وخماره صعب شديد

وقال لبيد

لا تفرحن فكل وال يعزل * وكما عزلت فعن قريب تقتل
وكذا الزمان بما يسرك تارة * وبما يسوءك تارة يتنقل

﴿ محاسن الصحبة ﴾

قيل . قال علقمة بن ليث لابنه يا بنى ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدق قولك وان صلت شدد صولك اصحب من إذا مددت اليه يدك لفضل مدها وان رأى منك حسنة عدها وان بدت منك ثلمة سدها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر أصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه . وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وقال

بعضهم لصاحبه أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم اذا رأيت كلبا ترك صاحبه ويتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه . وقال ابن أبي داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . ماخبرك مع صاحبك فقال لايقصر في الاحسان الى فقال . ياهذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

(ضده)

قيل كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما في عمله فخبرني المدائني قال . وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال . يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له يافاسق خرّبت مهرجانقذف قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فاعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتقول خربت مهرجانقذف فلم يزل يعذبه حتى مات . قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما . ماحبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه وعن المدائني قال . حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الامير أحب الي ولكني أحب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخف على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور ياحديج أضرب فضربها حتى اوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الامير شيأ بل تخرجني قال أحببت الجماع ماتريدين ان يفوتك ليلة ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره ان يأتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ماعندي اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا ان اختار لك أوجعها ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي عليه فتولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك مانقر عين احد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ماتقول ياحديج قال قالت كذا وكذا فقال ياابن الخبيثة من أمرك ان تعلمني ياغلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فمازال يضربه حتى اشتفى فعرف من الغلام الآخر كم ضربت قالا لا أدري قال ياعدو

الله أخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

(محاسن التطير)

عن عكرمة قال . كنا جلوسا عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب بصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر . والذي حضرنا من الشعر في مثله لابي الشيص

مافرّق الاحبابَ بعـ * ـد الله إلا الابل
والناسُ يلحونَ غرا * بَ البين لما جهلوا
وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غرا * بٌ في الديار ارتحلوا
وما غرابُ البين إ * لا ناقةٌ أو جمل

وقال آخر

أترحلُ عمن أنت صبٌ بمثله * وتلحي غراب البين انك تظلم
أقمْ فغراب البين غير مفرّقٍ * ولا يأتلى الاعلى الفضل يحكم

وقال آخر

غلطَ الذين رأيتهمْ بجهالةٍ * يلحونَ كلهم غرابا ينعق
ما الذنب الا للجمال فانها * مما يشتت شملهمْ و يفرّقُ
إن الغراب بيمنه يدني النوى * وتشتت الشمل الجميع الابنق

وقال آخر

لا يعلم المرء ليلاً مايصبحه * الا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهمُ * مضللون ودون الغيب أقفال

(ضده)

حكي عن النعمان بن المنذر . أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي فر بارام وهي القبور ! فقال عدي . أبيت اللعن أتدري ماتقول هذه الا رام قال لا قال أنها تقول

أيها الرّكب المخفو * نَ على الارض تمرّون
لكما كنتمْ فكنا * وكما كنا تكونون

---

(١) هكذا في الاصل مسندة الى يوسف بن عمر. ولعلها من أخبار الحجاج كما في غير هذا الكتاب

فقال أعدفاعادها فترك صيده ورجع كئيبا . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى . ابيت اللعن أندرى ماتقول هذه الآرام قال لا قال أنها تقول .

رب ركب قد أناخوا عندنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم * وكذاك الدهر حالا بعد حال

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حى من بنى تغلب فاغار عليهم وقتلهم . وكان رجل منهم جالسا على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

ألا عللانى قبل جيش أبى بكر * لعل منايانا قريب وما ندرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه فى الجفنة التى كان يشرب منها وهذا كقولهم

* ان البلاء موكل بالمنطق *

(محاسن الوفاء)

قيل فى المثل . أوفى من فكيهة . وهى امرأة من بنى قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الاثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها . قال وكان سليك يقول كانى أجد خشونة شعر أستها على ظهرى حين أدخلتنى تحت درعها

وقال لعمر أبيك والانباء تنمى * لنعم الجار أخت بنى عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها * ولم ترفع لوالدها شنارا
عنيت به فكيهة حين قامت * لنصل السيف فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضا . هو أوفى من أم جميل . وهى من رهط ابن أبى بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهرى ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست باخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه واعطاها على أنها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموأل بن عادياء . وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموأل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام

فنحر زمنه السموءل فاخذ الملك ابناله خارج الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك في يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال . أجلنى فاجله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشار وابدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف عليه . وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس . وقال فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى ... اذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا عنده كنز رغيب ... فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا ... وبئرا كلما شئت استقيت

وفى ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... فى جحفل كسواد الليل جرّار
بالابلق الفرد من تيماء منزلة ... حصن حصين وجار غير غدّار
خيره خطتى خسف فقال له ... مهما تقولن فانى سامع حار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما ... فاخترفا فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... أقتل أسيرك انى مانع جارى

ويقال أوفى من الحارث بن عباد وكان من وفائه انه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلنى على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال . أنا آمن ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى بن ربيعة فخلاه وفى ذلك يقول الشاعر

لهف نفسى على عدى وقد شا * رفه الموت واحتوته المنون

ويقال هو أوفى من عوف بن محلم وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فاتى به أمه فقالت انك تختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ فقال مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترجين من فدائه قالت مائة بعير قال لك ذلك على ان تردينى الى جماعة بنت عوف بن محلم قالت . ومن لى بالمائة فاخذ عودا من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بجماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجدا عليه فى شىء فقال عوف لرسوله . ان جماعة ابنتى قد أجارته فقل أن الملك

قدآلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه فقال عوف يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما فاجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فادخله عليه فوضع يده فى يده و وضع يده بين أيديهما فعفى عنه ومنهم الطائى صاحب النعمان بن المنذر . وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس و يوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه الاقتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طي فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا لم أوص بهم أحدا . فان رأى الملك ان يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده فرق له النعمان . وقال له لا . الا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تات قتلناه وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

يا شريك بن عمرو   هل من الموت محاله
يا أخا كلّ مضاف   يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فكّ   اليوم عن شيخ غلاله
ابن شيبانَ قبيلٌ   أصلحَ الله فعاله

فقال شريك هو على أصلح الله الملك فمضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له . ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول . ليس لك على سبيل حتى نمسى . فلما أمسوا اقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك . فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى فبينما هما كذلك اذ اقبل الطائى فقال النعمان والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فاطلقه وأمر برفع يوم بؤسه وأنشد الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى   فابيت عند تجهُّم الاقوال
انى امرؤٌ منى الوفاء خليقةٌ   وفعال كل مهذبٍ بذالِ

فقال النعمان ما حملك على الوفاء قال . دينى . قال وما دينك قال . النصرانية قال أعرضها علىّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

(ضده)

قيل كتب صاحب بريد همذان الى المامون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتى الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما . فوقع المامون إنا نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية

دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فانف الساعي عند ذلك وقال يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه . قال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال . وما نصيحتك هذه . قال . فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليله فمر باستخراجها منه . قال أنت شر منه واخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا اني أمر النصاح لعاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث . قال . اعرضهن يا أمير المؤمنين . قال ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان استقلت أقلناك . فاستقاله الرجل

(محاسن السخاء)

روى عن نافع قال . لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال . أخبرني باحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال . أحبهم اليّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم اليّ كل منافق سخي . قال . ولم ذلك . قال . لان السخاء خلق الله الاعظم فاخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل . وقال صلى الله عليه وسلم . ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وعن الشعبي قال . قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك . لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول . البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل أعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة . وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافاة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . يا عليّ كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيا فان الله يحب السخي وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا علي وان انسان سالك حاجة ليس لها باهل فكن أنت أهلا لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مده الى الجنة . وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل

لكان عظيما . وقال صلى الله عليه وسلم . تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر
وقال بهرام جور . من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على
الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه
الجود لم يصطفه لنفسه . وقال الموبذان لابرويز . أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف
وتترصدون عليه المكافاة . قال . لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك
وفى كتاب ديننا من فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره
واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره فى الاتقياء والصالحين . قيل وسئل الاسكندر
ما أكبر ما شيدت به ملكك . قال ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم * قال وكتب
ارسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر . واعلم ان الايام تأتى على كل شىء فتخلقه وتخلق
آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة آبدة تبقى بها حسن ذكرك
وكريم فعالك وشرف آثارك . قال ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له . انك فى آخر وقت من
أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال . أى شىء أقول
الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل قيل . وتنازع رجلان
أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى . نحن أقرى للضيف قال
وكيف ذلك قال . لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمى
فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم قال . وماذاك قال نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه
انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به وقال بعض الحكماء . بلغ الجود من قام بالمجهود وقيل
الجواد من لم يضن بالموجود وقال المامون . الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود
قيل . وشكا رجل الى اياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق قال ان النفقة
داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال . هل تدخل فيه
الريح قال . لا قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال . هكذا الرزق اغلقت فلم
تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق قيل ووصل المامون محمد بن عباد المهلبى بمائة
ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المامون فقال . يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم
بهذا فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن أمية بن يزيد الاموى قال
كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فساله المعونة على تزويج فقال
له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة اطماع . فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه
أربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا . كنت رددت عليه ردا ظننا أنك تعطيه شيئا قليلا فاذا

أنت أعطيته أكثر مما أمل فقال . انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولى . و بحاتم يضرب المثل فى السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل . كان حاتم جوادا شاعرا وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق . وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه قيل . ولما بلغ حاتما قول المتلمس الضبعى

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد
وحفظ المال أيسر من بغاه * وضرب فى البلاد بغير زاد

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس رزقا بعيش مقتر * لكلّ غد رزق يعود جديد
ألم تر أن الرزق غاد ورائح * وأن الذى أعطاك سوف يعيد

قيل . ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال انك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم علىّ قال . راحلتين قال . لك عشرون أرضيت . قال نعم وفوق الرضى قال . لك أربعون . ثم قال لمن يحضره من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بأربعين فدفعها الى الضيف . وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام بطلب حاجة فلما كان بارض عنزة ناداه أسير فيهم . يا أبا سفانة قد أكلنى الاسار والقمل قال . والله ما أنا فى بلادى ولا معى شىء وقد أسأت الى ان نوهت باسمى فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال . خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أؤدى فداه . ففعلوا فأتاهم بفداء قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بنى أسد يعرف بابى الخيبرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فاناخوا بقبره فقال . والله لاحلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله و يقول

عجلْ أبا سفانة قراكا * فسوف أنبى سائلى ثناكا

فقال بعضهم . مالك تنادى رمة و باتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعورا فقال . يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتما أتانى فانشدنى

أبا الخيبرىّ وأنت امرؤٌ * ظلوم العشيرة شتامها
فماذا أردت الى رمة * بدوية صخبت هامها
تبغى أذاها واعسارها * وحولك طىّ وأنعامها
وانا لنطعم أضيافنا * من الكوم بالسيف نعتامها

وقيل فى المثل . هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد و بلغ من جوده انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط فى شهر ناجر والجاهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أراد كعب ان يشرب نصيبه قال . آثر أخاك النمرى فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته و بادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه ومن قول أبى تمام

هو البحر من أى النواحى أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
كريم اذا ما جئت للعرف طالبا ... حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

(وللبحترى)

لو أن كفك لم تجد لمؤمل ... لكفاه عاجل وجهك المتهلل
ولو أن مجدك لم يكن متقادما ... أغناك آخر سودد عن أول

(ولبكر بن النطاح)

بطلٌ بصدر حسامه وسنانه ... أجلان من صدر ومن ايراد
ورث المكارم وابتناها قاسم ... بصفائح وأسنة وجياد
ياعصمة العرب التى لو لم تكن ... حيا اذا كانت بغير عماد
ان العيون اذا رأتك حدادها ... رجعت من الاجلال غير حداد
واذا رميت الثغر منك بعزمة ... فتحت منه مواضع الاسداد
وكأنّ رمحك منقعٌ فى عصفر ... وكأنّ سيفك سلّ من فرصاد
لو صال من غضب أبو دلف على ... بيض السيوف لذبن فى الاغماد
أورى ونوّر للعداوة والهوى ... نارين نار دم ونار زناد

قال أبو هفان . أنشد هذه الابيات عبد العزيز بن أبى دلف بسر من رأى فقال هل سمعت بمثل هذه الابيات قلت . لا قال . ولغيره فى أبى دلف

ولو يجور لقال الناس كلهم ... لولا أبو دلف ما أورق الشجر

قال ابن يحيى النديم . دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال . أنشدنى قول عمارة فى أهل بغداد فانشدته

من يشترى منى ملوك مخرّم * أبع حسنا وابنى هشام بدرهم
وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة * وأمنح دينارا بغير تندّم

فان طلبوا منى الزيادة زدتهم ✻ ابادلف والمستطيل بن اكثم

فقال المتوكل . و يلى على ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح فى أبى دلف القاسم بن عيسى شىء . قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى يقول فيه

أبادلف إن المساحة لم تزل ✻ مغللة تشكو الى الله غلها
فبشرها بى بميلاد قاسم ✻ فارسل جبريلا اليها فحلها

(وقال غيره)

حرٌّ اذا جئته يوما لتسأله ✻ أعطاك ما ملكتْ كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها ✻ ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

(وقال آخر)

فتى عاهد الرحمن فى بذل ماله ✻ فليس تراه الدَّهر الا على العهد
فتى قصرت آماله عن فعاله ✻ وليس على الحرّ الكريم سوى الجهد

(وقال آخر)

اذا ما أتاه السائلون توقدت ✻ عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذرى المعروف نعمى كانها ✻ مواقع ماء المزن فى البلد القفر

(وقال آخر)

عاد السرور اليك فى الاعياد ✻ وسعدت من دنياك بالاسعاد
رفقا بعبد جلّ ما أوليته ✻ رفقا فقد أثقلته بايادى
ملأ النفوس مهابة ومحبة ✻ بدرٌ بدا متغمرا بسواد
ماان أرى لك مشبها فيمن أرى ✻ ان الكرام قليلة الانداد

(وقال فى ابن أبى داود)

بدا حين أثرى باخوانه ✻ ففلل عنهم شباة العدم
وحذره الحزم صرف الزمان ✻ فبادر قبل انتقال النعم
فليس وان بخل الباخلو ✻ ن يقرع سناله من ندم
ولا ينكت الارض عند السؤال ✻ ليمنع سؤاله عن نعم
ولكن يرى مشرقا وجهه ✻ ليرغم فى ماله من رغم

و يروى فى الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد صالح أبدا و يقولون

الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عنه وقال الشاعر في ذلك

ليس في كلّ ساعة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت تقدمت فيها * حذرا من تعذُّر الامكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أن أمير المؤمنين عليا صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يساله مالا فانطلق به الى منزله فوجد في الطريق صوفا فاخذه ومر بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطا ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه قال وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري رحمه الله يسالونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا بان يرجعوا عنه وقالوا ما نظن عنده خيرا ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيناك تصنع شيئا لا يشبه فعالك فقال وماذاك فاخبروه فقال ان الذي رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو ومنها قيل الذود الى الذود ابل وأنشد

رب كبير هاجه صغير * وفي البحور تغرق البحور

(وقال آخر)

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الافيل
وسحق النخل من الفسيل

قال وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنا بعيرا له فقال يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال أردت ان انصرف حين رأيتك تهنا البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

﴿ مساوي البخل ﴾

المثل السائر في البخل هو أبخل من مادر وهو رجل من بني هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقي ابله فيبقى في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا وذكروا ان بني هلال وبني فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يا بني فزارة أكلتم اير الحمار فقالت بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاري وثعلبي وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبا للفزاري اير الحمار فلما رجع قالا قد خبانا لك حقك فكل فاقبل ياكل ولا يسوغه فجعل

يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال . لنا كان منه أولا قتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فا كل منه . فقال فيهم الشاعر

نشدتك يا فزار وأنت شيخ * اذا خيرت تخطيء فى الخيار
أصيحانية ادمت بسمن * أحب اليك أم ار الحمار
بلى ار الحمار وخصيتاه * أحب إلى فزارة من فزارى

فقالت بنو فزارة . منكم يا بنى هلال من سقى ابله فلما رويت سلح فى الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا راهنوا عليها . وفى بنى هلال يقول الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
فاف لكم لاتذكروا الفخر بعدها * بنى عامر أنتم شرار العشائر

وفى المثل . هو أبخل من أبى حباحب . وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفاه . فضرب به المثل . ومنه صاحب نجيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر . ان نجيحا اليربوعى خرج يوما يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى اسود قاعد فى اطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضا ولم يستطع أن يحرك يده حتى القاه فقال . يا هذا ما هذا الذى بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فانى أعجب مما ارى اجواد انت فتجود لنا أم بخيل فاعذرك فقال الاعمى . اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فاتنى به نعطك ما تشاء فانطلق نجيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدرى من سعد بن خشرم فاتاه آت فى منامه فقال له . يا نجيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهل بن شيبان . فسال عن بنى محلم ثم سال عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام . فقال له نجيح من أنت . قال أنا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج فى طلب نجيح اليربوعى وذلك ان آتيا أتاه فى منامه فحدثه ان مالا له فى نواحى بنى يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعى فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبنى من قد عنانى طلابه * فياليتنى ألقاك سعد بن خشرم
أتيت بنى يربوع تبغى لقاءنا * وجئت لكى ألقاك حى محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد فقال له نجيح . أيها الراكب هل لقيت سعدا فى بنى يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح قال . أنا نجيح وحدثه بالحديث فقال . الدال على الخير كفاعله

وهو أول من قالها . فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله فقال نجيح يا سعد قاسمنى فقال له . أطوعنى وعن مالى كشحا . وأبى أن يعطيه شيئا فانقضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع فى أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل وكان أبو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به فى صندوقه فيكون آخر العهد به قيل . ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شق . لا اله الا الله . أوفى شق . محمد رسول الله ما ينبغى أن تكون الا معاذة وقذفه فى صندوقه . وذكروا انه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب فاتاه شاعر يمدحه فلم يعطه شيئا ثم سعل سعلة فضرط . فقال الشاعر

أتيتُ المسيب فى حاجة * فما زال يسعلُ حتى ضرط

فقال غلطنا حساب الخراج * فقلتُ من الضرط جاء الغلط

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل قال . وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشىء فلم يفعل فكتب اليه . ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر قال . وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول من يعشى الجائع . فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال . هيهات تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى . ووضع رجله فى الادهم حتى أصبح . قال وكان رجل يأتى ابن المقفع فيلح عليه وساله أن يتغدى عنده ويقول لعلك تظن انى أتكلف لك شيئا والله لا أقدم لك الا ما عندى فلما أتاه لم يجد فى بيته الا كسرا يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له . وسع الله عليك . فلم يذهب فقال . والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك فقال ابن المقفع للسائل . ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين / قال . وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه . العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا وكتب آخر الى آخر يصف رجلا أما بعد فانك كتبت تسال عن فلان كانك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما فى يده لا ينبغى الا بعد الياس من رحمة الله انه يرى الايثار الذى يرضى به التبذير الذى يعاقب عليه والاقتصاد الذى أمر به الاسراف الذى يعاقب عليه وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم

وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كانه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تاخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه خاسرا ويعدها الفقر ويامرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله ان يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما. ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كانا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح. كقول القائل.

لا تجعلنا ككمون بمزرعة * ان فاته الماء أروته المواعيد

وكتب آخر. ما رأيت مثل طيب قولك امرأ سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ولا مثل أنس مذاهبك اوحش منه اختيار عواقبك حتى كان الدهر أوعدك لطيف الحيلة بالمكر باهل الخلة وكانه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة وقد قيل وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتاجيل وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا اماني الكمون. ولبعضهم اما بعد فلا تدعني معلقا بوعدك فالعذر الجميل احسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك. وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة قال لا. قال فتزوج وعليَّ المهر فرجع الى امه فاخبرها الخبر فقالت

اذا حدثتك النفس إنكَ قادرٌ * على ماحوت ايدي الرجال فكذب

فتزوج واتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرىء في ماله * وعلى كرائم حر مالك فاغضب

ووصف اعرابي رجلا فقال له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه ابدا بين الطمع والياس لا بذل سريع ولا مطل مريح وقال اعرابي انا من فلان في اماني تهبط العصم وخلف

يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه وذكر اعرابى رجلا فقال له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها الياس . ويقال سرعة الياس أحد النجحين . وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلب وأمانى الكمون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة. ومما قيل فى ذلك

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى * فاصبح فيها غدوة كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى * فقد صرت أرضى ان أشفع فى نفسى

ولابى نواس

وعدتنى وعدك حتى اذا   أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة   تغسل ما قلت بصابون

ولابى تمام

يحتاج من يرتجى نوالكم   الى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له   وعمر نوح وصبر ايوب

وقال آخر

انى رأيت من المكارم حسبكم   أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إنى لاعجب من قول غررت به   حلو يمد اليه السمع والبصر
لوتسمع العصم من صم الجبال به   ظلت من الراسيات العصم تنحدر
كالخمر والشهد يجرى فوق ظاهره   وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيها بالغدير وإن   تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لاينبت العشب عن برق وراعدة   غراء ليس لها سيل ولا مطر

وقال آخر

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه   وخبز أبى عثمان فى أحرز الحرز
يحن الى جاراته بعد شبعه   وجاراته غرثى تحن الى الخبز

وقال آخر

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة   حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الروث فى أعفاج بغلته   خوفا على الحب من لقط العصافير

وقال آخر

نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد
ترى الاصلاح صومك لا للنسك * وكسر الخبز من عمل الفساد
أرى عمر الرغيف يطول جداً * لديك كأنه من قوم عاد

وقال آخر

اللؤم منك على الطعام طباع * فعيال بيتك ماحييت جياع
وإذا يمر بباب دارك سائل * حملت عليه نوابح وسباع
وعلى رغيفك حية مسمومة * وعلى خوانك عقرب وشجاع

وقال آخر

ياتارك البيت على الضيف * وهارباً عنه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع وكن ضيفاً على الضيف
اذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا * أتاه بالشهوة في الصيف
وإن دنا المسكين من بابه * شد على المسكين بالسيف

وقال آخر

أرى ضيفك بالدار * وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوب * سيكفيكهم الله

وقال آخر

لابي نوح رغيف * أبداً في حجر دايه
أبداً يمسحه الدهر بكم ووقايه
وله كاتب سر * خط فيه بعنايه
فسيكفيكهم الله الى آخر الآيه

وقال آخر

الخبز يبطي حين يدعو به * كأنه يقدم من قاف
ويمدح الملح لاصحابه * يقول هذا ملح سيراف
سيان أكل الخبز في داره * وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر

فتى لا يغار على عرسه ... ولكن يغار على خبزه
فمنه يد الجود مقبوضة ... وكف السماحة فى عجزه

وقال آخر

يصونون أثوابهم فى التخوت ... وأزواجهم بذلة فى السكك
ينحون من رام رغفانهم ... ويدنون من رام حل التكك

وقال آخر أما الرغيف على الخوا ... ن فمن حمامات الحرم
ما إن يجس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابسا ... بالى النقوش من الهرم

وقال آخر أتينا أبا طاهر مفطرين ... الى داره فرجعنا صياما
وجاء بخبزله حامض ... فقلت دعوه وموتوا كراما

وقال آخر يبخل بالماء ولو أنه ... منغمس فى وسط النيل
شحا فلا تطمع فى خبزه ... ولو تشفعت بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائى قال . قال الرشيد مالاحد من المولدين مالابى نواس فى الهجاء

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب
شرابك كالسراب إذا التقينا ... وخبزك عند منقطع التراب

وقال آخر

خان عهدى عمرو وماخنت عهده ... وجفانى وماتغيرت بعده
ليس لى ماجنيت ذنب اليه ... غير أنى يوما تغديت عنده

وقال الخليل بن أحمد العروضى الازدى

فكفاه لم تخلقا للندى ... ولم يك بخلهما بدعه
فكف على الخبز مقبوضة ... كما نقصت مائة تسعه
وكف ثلاثة آلافها ... وتسع مئيها لها شرعه (١)

(١ قلت فى هامش الاصل مانصه وذكر جعفر بن محمد التميمى فى كتابه الجامع فى اللغة لشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أى مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أى مثل الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا لها دينا

(وقال ابن أبي البغل)

وكلُّ من أجتديه في بلدٍ * أرومُ مما لديه في صفدِ
يعقدُ لي باليسار أربعةً * منقوصةً تسعةً الى العددِ

(وقال آخر)

أتيتُ أبا عمرو ارجي نواله * فزاد أبو عمرو وعلى حزني حزنا
فكنتُ كباغي القرنِ أسلم أذنه * فآبَ بلا اذن ولم يستفدْ قرنا

﴿محاسن الشجاعه﴾

قيل. كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا وكان قد أبر على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويامره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسني فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمان اليهم فبينماهم على ذلك اذ شدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثني على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر قال نعم قال ما حملك على ما بلغني عنك قال جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان. قال وما الذي بلغ من أمرك فيجتري جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك قال لو بلاني الامير لوجدني من صالحي الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال. الحجاج انا قاذفوك في قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خليناك ووصلناك قال قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت المنة وقربت المحنة. فامر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن وكتب الى عامله بكسكر يامره ان يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحدا في تابوت يجر على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فالقي في حيز وأجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطي سيفا ودلي عليه فمشى الى الاسد وأنشا يقول

ليثٌ وليثٌ في مكان ضنكِ * كلاهما ذو أنف ومحكِ
وصولة في بطشة وفتكِ * ان يكشف الله قناع الشكِّ

وظفرا بجؤجؤ وبرك * فهو أحق منزل بترك
الذئب يعوى والغراب يبكي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كانه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس فقال الحجاج يا جحدر ان احببت ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وأن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاسنينا فريضتك قال . اختار صحبة الامير ففرض له ولجماعة أهل بيته . وأنشأ جحدر يقول

يا جمل انك لو رأيت بسالتي * في يوم هيج مردف وعجاج
وتقدمي لليث أرسف نحوه * حتى أكابده على الاحراج
جهم كأن جبينه لما بدا * طبق الرحا متفجر الاثباج
يرنوا بناظرتين تحسب فيهما * من ظن خالهما شعاع سراج
شثن براثنه كأن نيوبه * زرق المعاول أو شذاة زجاج
وكأنما خيطت عليه عباءة * برقاء أو خلق من الديباج
قرنان محتضران قد ربتهما * أم المنية غير ذات نتاج
وعلمت أني ان أبيت نزاله * أني من الحجاج لست بناج
فمشيت أرسف في الحديد مكبلا * بالموت نفسي عند ذاك أناجي
والناس منهم شامت وعصابة * عبراتهم لي بالحلوق شواجي
ففلقت هامته فخر كأنه * أطم تقوض مائل الابراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهد * مما جرى من شاخب الاوداج
أيقنت أني ذو حفاظ ماجد * من نسل أملاك ذوى أتواج
فلئن قذفت الى المنية عامدا * اني لخيرك بعد ذلك راجي
علم النساء بانني لا أنثني (١) * اذ لا يثقن بغيرة الازواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمري قال . خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أياما لا أدري أين أتوجه حتى نفد زادي فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة

---

١ المشهور في رواية البيت من يغار على النساء حفيظة البيت الخ

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى . يا ابن العم أين تريد . فقلت أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق . فقال أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسي حشيشا وجاء الى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج نارا وجعل يكبب لى ويطعمنى حتى اكتفيت فلما جن الليل قام وفرش لى وقال . قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك فقمت ووضعت رأسى فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له . ممن الرجل . قال أنا فلان بن فلان . فانتسب لى فعرفته فقلت له . ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان . فقال . أنا والله أخبرك كنت عاشقا لابنة عمى هذه التى رأيتها وكانت هى أيضا لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس فأتيت عمى فسألته أن يزوجنيها فقال . يا بنى والله ما سألت شططا وما هى بآثر عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشيء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن أنظر غيرها فى قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك فقلت . لا حاجة لى فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم وزوجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا ــ وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا ــ فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا فقلت لها . لا تخبرى أحدا انى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت . أنا رجل من الازد أصبت دما وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت ان تعطينى من غنمك شيئا فاكون فى جوارك وكنفك فافعل قال . نعم وكرامة فأعطانى مائة شاة وقال لى . لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى قال . فأقمت عنده أياما فبينا أنا نائم اذ نبهنى وقال . يا أخا بنى عامر . قلت له . ما شأنك قال ان ابنة عمى قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها و والله ما أظن ذلك الا لامر حادث فحدثنى . فجعلت احدثه . فانشأ يقول

ما بال ميّة لا تأتى كعادتها ... هل هاجها طربٌ أو صدها شغل

لكنّ قلبى لا يعنيه غيركم ... حتى الممات ولا لى غيركم أمل

لو تعلمين الذى بى من فراقكم ... لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسى فداؤك قد أحللت بى حرقا تكاد من حرها الاحشاء تنفصل

لو كان عادية منه على جبل لزل واهد من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو الحى فابطأ عنى ساعة ثم أقبل ومعه شىء وجعل يبكى عليه . فقلت له . ماهذا قال هذه ابنة عمى افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالقرب منى فاوجع والله قلبى ثم تناول سيفه ومر نحو الحى فابطأ هنيهة ثم أقبل الى وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له . ماهذا . قال . صاحبى . قلت . وكيف علمته . قال . انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه وعلمت انه سيعود الى مافضل منها فجاء قاصدا الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر فى الارض فامعن واخرج ثوبا جديدا وقال . يا أخا بنى عامر اذا أنا مت فادرجنى معها فى هذا الثوب ثم ضعنا فى هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كنا على ظهرها والعيش فى مهل والدهر يجمعنا والدار والوطن

فخاننا الدهر فى تفريق الفتنا واليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال

ألا أيها الليث المدل بنفسه هبلت لقد جرت يداك انا حزنا

وغادرتنى فردا وقد كنت آلفا وصيرت آفاق البلاد لنا سجنا

أأصحب دهرا خاننى بفراقها معاذ الهى أن أكون له خدنا

ثم قال . يا أخا بنى عامر اذا فرغت من شاننا فصح فى أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما فى ذلك الثوب ووضعتهما فى تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسالنى القوم فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيما له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندى ما كان قال الحجاج اطلبوا الى شهاب بن حرقة السعدى فى الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه فى الاسرى فلما ادخل على الحجاج قال له من أنت قال أنا شهاب بن حرقة قال والله لاقتلنك قال لم يكن الامير بالذى يقتلنى قال ولم قال لان فى خصالا يرغب فيهن الامير قال وما هن قال ضروب بالصحيفة هزوم للكتيبة أحمى الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر غير بطىء عن النصر قال الحجاج ما أحسن هذه الخصال فاخبرنى باشد شىء مر عليك قال نعم أصلح الله الامير

بينا أنا أسير * ومركبي وثير   في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي

يعضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل   أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم

فسرت خمسا عوما * وبعد خمس يوما   حتى وردت أرضا * ما ان ترام عرضا

من بلد البحرين * عند طلوع العين   فهجتهم نهارا * التمس المغارا

حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر   اذا أنا بعير * يقودها خفير

موقرة متاعا * مقبلة سراعا   فصلت بالسنان * مع سادة فتيان

فسقتها جميعا * أحثها سريعا   أريد رمل عالج * أمعج بالعناجج

أسير في الليالي * خرقا بعيدا خالي   وقد لقينا تعبا * وبعد ذاك نصبا

حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا   عنت لنا يد انه * قد كان فيها عانه

رميتها بقوسي * في مهمه كالترس   حتى اذا ما أمعنت * بالقفر ثم درمت

وردت قصرا منهلا * في جوفه طام حلا   وعنده خيمه * في جوفها نعيمه

عزيزة كالشمس * فاقت جميع الانس   فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها

حييت ثم ردت * في لطف وحيت   فقلت يا لعوب * والطفلة العروب

هل عندكم قراء * اذ نحن بالعراء   قال نعم برحب * في لطف وقرب

أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيدا   حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر

فعجت عن قريب * في باطن الكثيب   حتى رأيت عامرا * يحمل ليثا خادرا

على عتيق سابح * كمثل طود اللامح

قال . وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ثم قال . ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم أيها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها نارا وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الامير اسمع للحم الاسد نشيشا فقالت له نعيمة قد جاءنا ضيف وأنت في الصيد . قال . فما فعل . قالت . ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فاومات الى فاتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فاكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى زق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها . فقال . ويلك احفظ الممالحة قلت لا بد من الجارية

فالتفت اليها وقال لها قفى ثم قال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه . وأنشا يقول

انك ياعاصم بى لجاهل اذرمت أمرا أنت عنه ناكل
انى كمىّ فى الحروب باسل ليث اذا اصطك الليوث بازل
ضراب هامات العدى منازل قتال أقران الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فقال أنا صابر بن حرقة فشد عليه وأنشا يقول

انك والاله لست صابرا على سنان يجلب المقادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا فى كف قرم يمنع الحرائرا
انى اذا رمت امرأ فاترا يكون قرنى فى الحروب بائرا

ثم طعنه فقتله وقال . يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت . احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشا يقول

الآن طاب الموت ثم طابا إذ تطلبون رخصة كعابا
ولا تريد بعدها عتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على أصحابى فقلت . ياغلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال . ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت ياعامر بحق المما لحة من أنت قال أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر مامر بنا انسى غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج الآن ياعدوّ الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال . كان خروجى على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفى عنى الامير رجوت أن لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه و وصله و رده الى بلده

(ضده)

قال . دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له بلغنى انك

يحيد وصف الاسد . فقال له . لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مخبرا لا يزال ذكره يتجدد على قلبي قال هات مامر على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين فى صبابة من افناء قبائل العرب ذوى شارة حسنة ترتمى بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل نريد الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام فاخروّط بنا المسير فى حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وضايق العصفور الضب فى وجاره . قال قائلنا . أيها الركب غوّروا بنا فى دوح هذا الوادى فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا باصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مالبث أن جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لاشك فيه ففزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه ثم وقفنا له رزدقا فاقبل يتطالع فى مشيته كأنه مجنوب أو فى هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مغلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهرّ ثم تجهم فازبأرّ فلا والذى بيته فى السماء ما اتقيناه باول أخ لنا من بنى فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شيهما حوليا فاختلج من دونى رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة فزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم ففرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور بالبطون ثم ساءت الظنون . وأنشا يقول

عبوسٌ شموسٌ مصلخدٌّ خنابسٌ جرىءٌ على الارواح للقرن قاهر
منيعٌ ويحمى كلَّ واد يرومه شديد أصول الماضغين مكابر
براثنه شثنٌ وعيناه فى الدجى كجمر الغضا فى وجهه الشرُّ ظاهر

يدلُّ بأنياب حداد كأنها ... إذا قلصَ الاشداق عنها خناجر

فقال عثمان . اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأني أنظر اليه يريد يواثبني . وقيل في المثل هو أجبن من هجرس — وهو القرد — وذلك أنه لا ينام الا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب وحدثنا رجل بمكة قال . اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع في موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت مع الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبنا وقيل . هو أجبن من صافر . وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل أيضا هو أجبن من المنزوف ضرطا . وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح ويقول لو لعادية نبهتنني — أي خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فأتينه كما كن يأتينه فايقظنه فقال لو لعادية نبهتنني فقلن له . نواصي الخيل معك فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط . حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت فغضب الامير عليك . قال يغضب الامير وأنا حيّ أحب اليَّ من أن يرضى وأنا ميت وقيل لبعض الجبان مالك لا تغزو ؟ . قال والله اني لا بغض الموت على فراشي فكيف أمر اليه ركضا . قال وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت قط . قال لا أيها الامير الا في النوم قال وكيف كانت وقعتك . قال انتبهت وأنا منهزم ومما قيل في ذلك من الشعر

ظلت تشجعني هند بتضليل ... وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعا لغير القتل مصرعه ... أوجدك ألف جبان غير مقتول
الحرب توسع من يصلى بها حربا ... يتم العيال وإثكال المثاكيل
اسم الوغى اشتق من غوغاء يجر بها ... يغدون للموت كالطير الابابيل
والله لو أن جبريلاً تكفل لي ... بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
هل غير أن يعذروني أنني فشل ... فكل هذا نعم فاغروا بتعزيلي
ان أعتذر من فراري في الوغى أبدا ... كان اعتذاري رديدا غير مقبول
اسمع أخبرك عن باسي بذي سلب ... خلاف ناس المساعير البهاليل

لما بدت منهم نحوى عشوزنة ... شهاء تشرع فى عرضى وفى طولى
فقلت ويحكم لا ترهبوا جلدى ... رمحى كسير وسيفى غير مصقول
لما اتقيتهم طوعا بذات يد ... وانصعت اطوى الفلا ميلا الى ميل
الله خلصنى منهم وفلسفتى ... حتى تخلصت مخضوب السراويل

(وقال آخر)

أضحت تشجعنى هند فقلت لها ... ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذى حجت الانصار كعبته ... ما يشتهى الموت عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم ... اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا
ولست منهم ولا أهوى فعالهم ... لا القتل يعجبنى منهم ولا السلب

(وقال آخر)

يقول لى الامير بغير جرم ... تقدم حين حل بنا المراس
فمالى ان أطعتك فى حياة ... ولا لى غير هذا الراس راس

(محاسن حب الوطن)

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء . وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان . وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها . ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهى . فقال مخيضا رويا وضبا مشويا . وقد قيل أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه . وقيل احفظ ارضا ارسخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه . وقيل لا تشك بلدا فيه قبائلك . وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقة وحدثنا بعض بنى هاشم قال قلت لاعرابى من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابغى عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملولح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة . قلت فما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحدا أخصب منا عيشا فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل

لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شىء ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه و يلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه فى ايوان كسرى . وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك . وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان . وقيل فما الذل قال التنقل فى البلدان والتنحى عن الاوطان . وقال بعض الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تنهضن عن وطنك و وكرك فتنقصك الغربة وتضيمك الوحدة . وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه . وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر . وكان يقال الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كاب قنيصة ولكل رام رمية . وأحسن من ذلك واصدق قول الله عز و جل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدست أسماؤه (ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة . ومما قيل فى ذلك من الشعر

اذا ماذكرت الثغر فاضت مدامعى ... وأضحى فؤادى نهبة للهماهم
حنينا الى أرض بها اخضر شاربى ... وحلت بها عنى عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حق التقادم

(وقال آخر)

أحن الى أرض الحجاز وحاجتى ... قيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بنافعى ... أجل لا ولكنى على ذاك أنظر
ففى كل يوم نظرة ثم عبرة ... لعينيك يجرى ماؤها يتحدر
متى يستريح قلب فاما مجاذر ... حزين واما نازح يتذكر

(وقال آخر)

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لاول منزل

وقال ابن أبى السرح قرأت على حائط بيتى شعر . وهما

ان الغريبَ ولو يكونُ ببلدة يجبى اليه خراجها لغريبُ
وأقل مايلقى الغريب من الاذى أن يستذلَّ وأن يقالَ كذوب

قال وقرأ على حائط بعسكر مكرم

ان الغريب اذا ينادى موجعا عند الشدائد كان غير مجاب
فاذا نظرت الى الغريب فكن له مترحما لتباعد الاحباب

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريب الدار ليس له صديق جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شيء كما يتعلق الرجل الغريق
لاتجزعْ فكلُّ فتى سيأتى على حالاته سعةٌ وضيق

قال ووجدت على حائط باب مكتوب

عليك سلام الله ياخير منزل رحلنا وخلفناك غير ذميم
فان تكن الايام فرّقن بيننا فما أحدٌ من ربها بسليم

(وقال آخر)

وان اغتراب المرء من غير حاجة ولا فاقة يسمو لها لعجيب
لحسب امرىء ذلًا ولو أدرك الغنى ونال ثراه أن يقال غريب

(وقال آخر)

ان الغريب وان يكن فى غبطة لمعذب وفؤاده محزون
ومتى يكون مع التغرب عاشقا ومفارقا يارب كيف يكون

(وقال آخر)

ان الغريب ذليل أين ماسلكا لو أنه ملك كلَّ الورى ملكا
اذا تغنى حمام الايك فى غصن حن الغريب الى أوطانه فبكى

(وقال آخر)

سل الله الاياب من المغيب فكم قد ردَّ مثلك من غريب
وسل الحزن منك بحسن ظنّ ولا تيأس من الفرج القريب

(وقال آخر)

تصبرْ ولاتعجلْ وقيت من الردى لعل اياب الظاعنين قريب

فقلت وفى قلبي جوى لفراقها   ألا لا تصبرنى فلست أجيب

(وقال آخر)

أعاذل حبي للغريب سجية * وكل غريب للغريب حبيب
لئن قلتم أجزع من البين ان مضوا * لطيبهم انى اذاً لكذوب
بلى غرات الشوق أضرمت الحشا * ففاضت لها من مقلتى غروب

(وقال آخر)

اذا اغترب الكريم رأى أمورا * مجللة يشيب لها الوليد

(وقال آخر)

ما كنت أحسب أن يكو * ن كذا تفرقنا سريعا
بخل الزمان علىّ أن * نبقى كما كنا جميعا
فاحلنى فى بلدة * وأحلك البلد الشسيعا
قد كنت أنتظر الوصا * ل فصرت أنتظر الرجوعا

(وقال آخر)

نسيم الخزامى والرياح التى جرت   بنجد على نجد تذكرنى نجدا
أتانى نسيم الند رطيبا الى الحمى   فذكرنى نجدا فقطعنى وجدا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بايمن طالع وابشر طائر . ولا كبا بك مركب ولا أشت بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب . سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بعمرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقاب . كان الله لك فى سفرك خفيرا وفى حضرك ظهيرا بسعى نجيح وأوب مريح . بصرك الله محالك وهداك رحالك وسر باوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا باسعد جدو أنجح مطلب واسر منقلب وأكرم بداءة وأحمد عاقبة . شخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آيبا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة . فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه . وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم . انى أريد سفرا . فقال . فى كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك . وقال الشاعر

في كنف الله وفي ستره   من ليس يخلو القلب من ذكره

وقال آخر

إرحل أبا بشر بأيمن طائر   وعلى السعادة والسلامة فانزل

(ضده)

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيراً . وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن . وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة . وقيل الفقير في الاهل مصروم والغني في الغربة موصول . وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما . وقيل أوحش قومك ما كان في ايحاشهم انسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك . وأنشد

لا يمنعنك خفض العيش في دعة * نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر

نبت بك الدار فسر آمناً * فللفتى حيث انتهى دار

وفي معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشام والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به أمنيته ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف . ويقال أن عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليثا أبعده الله وأسحقه واوقد على أثره وأحرقه . لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله ولا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما الا فرج الله له غمه ولا سرى همه لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا اورى زنده . جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق . وانشد

بانكد طائر وبشر فال * لابعد غاية وأخس حال
بحد السد حيث يكون مني * كما بين الجنوب الى الشمال
غريبا تمتطي قدميك دهراً * على خوف تحن الى العيال

وقال آخر

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا درت السحاب

وحيث لا تبتغى فلاحاً ... وحيث لا يرتجى اياب
وحيث مادرت فيه يوما ... فانك الذئب والغراب

وقال آخر

فسر بالنحوس الى بلدة ... تعمر فيها ولا ترزق
ولا يمرع الارض من زهرة ... ولا يثمر الشجر المورق
تغيض البحار بها مرة ... ويكدى السحاب بها المغدق

وقال آخر

أدنى خطاك الهند والصين ... وكل نحس بك مقرون
بحيث لا يأنس مستوحش ... وحيث لا يفرح محزون
تهوى بك الارض الى بلدة ... ليس بها ماء ولا طين

(محاسن الدهاء والحيل)

الهيثم بن الحسن بن عمار . قال قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعى فلما رأى ماتصنع سوقه المختار من الاعظام جعل يقول . ياعباد الله أبالمختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ماهذا الذى بلغنى عنك . قال الباطل . فامر بضرب عنقه . فقال . لا والله لا تقدر على ذلك . قال . ولم . قال . امادون ان أنظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبنى على شجرة على نهر والله انى لاعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم . ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه . فقال يا أخا خزاعة أومزاح عند القتل . قال . أنشدك الله ان أقتل ضياعا . قال . وما تطلب ههنا . قال . أربعة آلاف درهم اقضى بها دينى . قال . ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه

قال كان سراقة البارقى من ظرفاء أهل الكوفة فاسره رجل من أصحاب المختار فاتى به المختار فقال له أسرك هذا قال سراقة كذب والله ما اسرنى الا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما افلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أنى * رأيتُ البلق دهما مصمتات
أرى عينىّ مالم ترأياهُ * كلانا عالمٌ بالترّهات
كفرتُ بوحيكم وجعلت نذرا * علىّ قتالكم حتى الممات

وعنه قال . كان الاحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقة . أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار . قال سأكفيكه فبيناهو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه ووافقه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ما خبر الراكب . قال . زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة قال بعيد . قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر وكان الاحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فاعلموه أنه لا أصل للخبر فقال للاحوص من أعلمك بهذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلى فارسل اليه من أتاه به قال أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير قال له الاحوص أتكذبنى بين يدى الامير قال خالد ويحك أصدقنى قال نعم أخرجنا فى هذا البرد وهو ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فاحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقة عنينٌ فقلتُ لهم * اللهُ يعلمُ أنى غير عنينِ
فان ظننتم بى الشىء الذى زعموا * فقربونى من بنتْ ابن ياسين

وذكروا أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات . فقال له يا غلام اخرج انى أسالك فعرفه الغلام فقال له انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنا يزيدُ والبطين وقعنبٌ * ومنّا أميرَ المؤمنينَ شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فامر بطلب قائله فاتى به فلما وقف بين يديه قال أنت القائل «ومنا أميرُ المؤمنين شبيب»

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت «ومنا أمير المؤمنين شبيب»

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع

الى النصب . وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال مايبكيك . قالت أبكى لفراق بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل وودت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته فمضى الى هنالك فما شعر بشئ حتى هجم عليه فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاستنقذ الجارية . وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة لقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهما بالاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها فقالت وماقدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فاخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاة وخليا عن الجارية . وعن الهيثم قال كان الحجاج حسودا لايتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ماصنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم يرمنه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به ويقول أيها الامير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع ومايكنر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك منى ومن ابن أشعث وماخطره حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج . قام عمارة . فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى وبلائى قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق فى الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا أمير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدبير الذى قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج أبدا قال انى أعلم انه ماخرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندى العتبى وارسل اليه ارجع اليه فقال ما كنت أظن ان

عقلك على هذا ارجع اليه بعد الذى كان من طمنى عليه وقولى عند أمير المؤمنين ماقات فيه لا مه ولا كرامة.

(ضده)

قيل فى المثل . هو أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له ماسميت فرسك ففقأ عينه . وقال سميته الاعور . فقال الشاعر فيه

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم * وأى امرئ فى الناس أحمق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده * فصارت به الامثال تضرب فى الجهل

وقيل هو أحمق من هبنقة و بلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادى من وجد بعيرى فهوله فقيل له ولم تنشده قال وأين حلاوة الظفر والوجدان . واختصمت اليه الطفاوة و بنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين اذهبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبيا رسب وان كان طفاوياطفى فقال الرجل لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان . وقيل هو أحمق من دغة وهى مارية بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاح الولد فجاءت منصرفة فصاحت يا أماه هل يفتح الجعر فاه فقالت نعم و يدعو أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء . وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيروه بذلك قال الشاعر

يلومون فى حمقه باقلا * كان الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العذل فى عيه * فللصمت أجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان * أحب الينا من المنطق

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا ثابت العقل كم عاينت ذا حمق * الرزق أغرى به من لازم الجرب
فاننى واجد فى الناس واحدة * الرزق أروغ شىء عن ذوى الادب
وخصلة ليس فيها من يخالفنى * الرزق والنوك مقرونان فى سبب

وقال آخر

أرى زمنا نوكاه أسعد خلقه * على أنه يشقى به كل عاقل
علا فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال آخر

كم من قوي قوى فى تقلبه * مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كانه من خليج البحر يغترف

(محاسن المفاخرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا من شعر

انى امرؤ حميري حين تنسبني * لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال له ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله . وقال بعضهم

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بانف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

شعيب بن ابراهيم عن على بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال مر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم شعوبا فجعلنى فى خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم والدا وانى مباه لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا . وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة . قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى . قال وأى هامتها قالوا ذهل . قال ذهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل الاكبر . قال فمنكم عوف الذى كان يقال لا حر بوادى عوف قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا

قال أفمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجبار . قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا . قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا . قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا . قال فلستم من ذهل الاكبر اذا أنتم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحمله

يا هذا انك قد سألتنا أي مسألة شئت فلم نكتمك شيئا فاخبرنا ممن أنت . فقال أبو بكر من قريش فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فاخبرني من أي قريش أنت . قال من بني تيم بن مرة . قال أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع قال أبو بكر لا قال أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا . قال أفمنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة الداجية مطعم الطير قال لا . قال أفمن المفيضين بالناس أنت . قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أما والله لو شئت لاخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب . فقال الاعرابي

صادف در السيل درٌّ يدفعه * في هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال علي كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة قال أجل . يا أبا حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق . قال وأتى الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر معاوية بانزاله فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم اذ قال معاوية قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن ابن علي وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم . فقال زياد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في عذب منطقه ولا لنا في بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ما تقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال اني أجلكما وأوقع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكرا له فلما استويا في مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لا بد أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال يا حسن انا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على اللقاء وأمضى في

الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خبا وأمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب . ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا . ثم تكلم زياد فقال ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لاهله ويجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً . فتكلم الحسن بن على رضى الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الافك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب فى صورة الحق يا عمرو وافتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أنذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم احمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبى صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطلب ثم قال وأما أنت يا مروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تنقلب فى خزاية الى سوءة وقد أوتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الاول

بصبصن ثم رمين بالابعار

فلما من عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد وقال وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا - يعنى معاوية - فما لك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار فى الجنة وأنا وأخى سيدا شباب أهل الجنة . ثم التفت الى ابن عباس فقال انما هى بغاث الطير انقض عليها البازى فاراد ابن عباس أن يتكلم فاقسم عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام أولا لولا ان حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت الا كالحجل فى كف العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا . قال معاوية اذا كنت شريككم فى الجهل أفافاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم

والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السواء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يامعاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى اظنك تعبا نصبا فأت المنزل فارح نفسك فقام الحسن رضى الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولابيك فى الاسلام نصيب وافر. فقال ابن الزبير أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وساله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن على فى باسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهى نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أنى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتى صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس باسا وأكرمهم حسبا فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سابين ذلك لتعلم انى لست بالكليل أاياى تعير وعلىّ تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة الا تزوّجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفى الاشراف سادتها نحن أكرم أهل الارض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بترة ويداجينى المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل إحن وتر فكيف لا تكون كما أقول وقد بايع أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الاعنة ورأى بريق الاسنة قتل عضيعة لا ناصر له وأتى بك أسيرا وقد وطئتك الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته

الليوث فنحن و يحك نو ر البلاد واملا كها و بنا تفتخر الامة والينا تلقى مقاليد نصول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بنى الانبياء لم تزل الاقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى ابيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيرا تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فانت عتاقة أبى وأنا سيدك وأبى سيد أبيك فذق وبال امرك. فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلا اذ جهلت أمسكت عنى فانكم اهل بيت سجيتكم الحلم. قال الحسن يامعاوية انظر أأكع عن محاورة احد ويحك أتدرى من اى شجرة انا والى من أنتمى انته قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان فى آفاق البلدان. قال ابن الزبير هو لذلك اهل فقال معاوية اما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على احد بعد هذا. وذكروا ان الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام جرى من معاوية فى ذلك

فيما الكلامُ وقد سبقت مبرزا * سبق الجواد من المدى والمفوس

فقال معاوية. اياى تعنى والله لأنبئنك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن اجودها جودا واكرمها ابوة وجدودا وأوفاها عهودا انا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال الحسن. اجل اياك أعنى افعلى تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كابى اوقديم كقديمى فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب فقال. اقول لا تصديقا لقولك. فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلج لا تزيغ سبيله * والحق يعرفه ذوو الالباب

قال. وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم اخبرونى باكرم الناس ابا واما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة. فقام مالك بن عجلان واومى الى الحسن بن على صلوات الله عليه فقال. هو ذا ابوه على بن ابى طالب وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته ام هانئ بنت ابى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد. فسكت القوم ونهض الحسن فاقبل عمرو بن العاص على مالك فقال. أحب بنى هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل. فقال ابن عجلان ما قلت الا حقا وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط امنيته فى دنياه وختم له بالشقاء

فى آخرته بنو هاشم أنضركم عودا وأوراكم زندا أكذلك هو يامعاوية . قال اللهم نعم . قال واستاذن الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فاذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاءكم الفهه العيي الذى كان بين لحييه عقلة . فقال عبد الله بن جعفر . مه والله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع فى لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور ثم أنشا يقول

أتأمرُ يامعاوىَ عبد سهم * بشتمى والملا منا شهودُ
اذا أخذتْ مجالسها قريش * فقد علمتْ قريشٌ ماتريد
أأنت تظلُّ تشتمنى سفاهاً * لضغن مايزولُ ولا يبيد
فهل لكَ من أبٍ كأبى تسامى * به من قدْ تسامى أو تكيد
ولا جدٌّ كجدّى ياابن حرب * رسولِ الله ان ذكر الجدودُ
ولا أمٌّ كأمى منْ قريش * إذا ماحصلَ الحسب التليدُ
فما مثلى تهكمَ ياابن حرب * ولا مثلى ينهنههُ الوعيدُ
فهلا لاتهجْ منا أمورا * يشيب لهولها الطفل الوليدُ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن على فامره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فامره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب انا ابن أول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وأمعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية فقال ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك . قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أبا وأما ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدرى لعله فتنة لكم

ومتاع الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو . ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون أحدا مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلدا كم العار عند أهل الشام - يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس - فقال مروان يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية اذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لولا ذلك لاراق دمك واعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك امك أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضاربة الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا واخذت أسيرا فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوار أيهريق دمي فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذاك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وأنت معه أقصر يدا وأضيق باعا وأجبن قلبا من ان تجسر على ذلك ثم تزعم انك ابتليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه واشكر لنا اذ وليناه هذا الامر فتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لاعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا ينفع تبدد بحك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الاكابر وفروعنا السادة الاخيار الافاضل انطق ان كنت صادقا . فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم أنشأ يقول

قد يضرط العير والمكواة تأخذه ٭ لا يضرط العير والمكواة في النار

ذق وبال أمرك يا مروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى

الا انهما كافيا لا يعنيك ان تربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان أرم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت اعنتك وقام مغضبا فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار قال ولقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليهما السلام فى الطواف فقال يا حسن أزعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله وبينا بعد خفائه أفيرضى الله قتل عثمان أم من الحق ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لالم للشعث وأسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلوات الله عليه ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهى الالحاد فى دين الله والموالاة لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان عليا لم يتريث فى الامر ولم يشك فى الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لاقرعن قصتك - يعنى جبينه - بقراع وكلام واياك والجراءة على فانى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة - يعنى العظام - ولا بمرئ المأكلة وانى لمن قريش كاوسط القلادة معرق حسبى لا أدعى لغير أبى وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك ألأمها حسبا وأعظمها لعنة فاياك عنى فانما انت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . قال واجتمع الحسن بن على صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش باسرها انى منها فى عز أرومتها لم أطبع على ضعف ولم اعكس على خسف اعرف نسبى وادعى لابى فقال عمرو وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها الشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لاكبسن لك حافة كجلد العائط اذا اعتاطت رحمها فانما أرميك من خلالها باحر من وقع الاثافى اعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت فى اعراض الوعر التماسا للفرقة وارصادا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت رابية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طالما اخر شاؤك واستمر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان اذا التفت حلقتا البطان . ابن المنذر عن أبيه عن الشعبى عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن على رضى الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ من قنبرة بعمرِ * خلالكِ الجوفبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري * قدذهب الصيادعنك فابشري
لابد من أخذكِ يوما فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن علي واقبلت تهدر في جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين قال وباي شيء استحق عندك انك بهذا الامر أحق مني فقال ابن عباس لانا احق بمن يدل بحقه وباي شيء استحق عندك انك احق بها من سائر العرب الابنا فقال ابن الزبير استحق عندي اني احق بها منكم لشرفي عليكم قديما وحديثا فقال انت اشرف ام من شرفت به فقال ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي قال فهي الزيادة ام منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله يا بني هاشم لاتحبوننا ابدا قال ابن عباس صدقت نحن اهل بيت مع الله لانحب من ابغضه الله قال يا ابن عباس اما ينبغي لك ان تصفح عن كلمة واحدة قال انما يصفح عمن اقر وأما من هر فلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير فاين الفضل قال عند أهل البيت لاتصرفه عن اهله فتظلم ولا تضعه في غير اهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من اهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجد وانقضى حديثهما وروى عن ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني امية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال يا ابن عباس من الناس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا احد قال فانك ترى اني قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فبمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بني امية قلت من كفا عليه اناءه واجاره بردائه قال فغضب وقال ارحني من شخصك شهرا فقد امرت لك بصلتك واضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسالوني ما الذي اغضب معاوية قالوا بلى فقل بفضلك قال ان اباه حرب لم يلق احدا من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن امية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بني امية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب اجل قدرا من ان يجير على حرب فاتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد اجبناه الى مايريد ثم خرج الزبير اليه فقال التميمي

لاقيت حربا في الثنيةِ مقبلا * والصبح ابلج ضوؤه للسارى
فدعا بصوت واكتنى ليروعني * وسما عليَّ سموَّ ليث ضارى

فتركته كالكلب ينبح ظله * وأتيت قرم معالم ونخار
ليثا هزبرا يستجار بعزه * رحب المباءة مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم * والبيت ذى الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعى من خوفه * ما كبر الحجاج فى الامصار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرنى من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فالقى عليه رداء كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ليس بدعى ولا دنى لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى باى قدر تتعرض للرجال وباى حسب تعتد به عند النضال انفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر أقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت فقال ابن عباس دعنى والعبد فانه قد يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا وقد أتيح له ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس فقال ابن العاص دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقدما قد قرعت وقارعونى * فما نزر الكلام ولا شجانى
يصد الشاعر العراف عنى * صدود البكر عن قرم هجان

قال و بلغ عائمة بنت عانم (١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لاهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت وملكت وفضلت وفضلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلما وأكثر الناس علما وعطاء منا عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قريش بيضة فتفلقت ❊ فالمخ خالصها لعبد مناف

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه . يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ❊ ورجال مكة مسنتون عجاف

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث وفيه يقول أبو طالب

ونحن سنى المحل قام شفيعنا ❊ بمكة يدعو والمياه تغور

وابنه أبو طالب عظيم قريش وفيه . يقول الشاعر

آتيته ملكا فقام بحاجتى ❊ وترى العليج خائبا مذموما

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رديف رسول الله لم نر مثله ❊ ولا مثله حتى القيامة يولد

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه . يقول الشاعر

أبا يعلى بك الاركان هدت ❊ وأنت الماجد البر الوصول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة وفيه . يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل علينا ❊ كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا أبو الحسن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم وأكرم من احتبى وانتعل وفيه . يقول الشاعر

على ألف الفرقان صحفا ❊ ووالى المصطفى طفلا صبيا

ومنا الحسن بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة وفيه . يقول الشاعر

يا أجل الانام يا ابن الوصى ❊ أنت سبط النبي وابن على

ومنا الحسين بن على حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

---

(١) هكذا فى الاصل وفى نسخة عائمه بنت عانم . وفى المسامرات غانمه بنت غانم

حبُّ الحسين ذخيرةٌ لمحبه * يارب فاحشرني غدا في حزبه

يامعشر قريش والله ما معاوية كامير المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاصم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلاك الله قال أنا يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتغير لون يزيد وأتى أباه فاخبره فقال هي أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيد كم تعد لها قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أنا ذا قالت أنت تسب قريشا وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب ياعمرو أني والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك واني اذكر ذلك ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاويا غير مرشد ومفسدا غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فما لك ولبني هاشم أنساؤك كنسائهم أم أعطى أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يستجيب لي خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية فحلف ان لا يسب بني هاشم أبدا فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة . قال وكان علي بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فاخذ عبد الملك يذكر أيام بني أمية فبينا هو على ذلك اذ نادى المنادي بالاذان فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال علي

هذي المكارمُ لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

فقال . عبد الملك الحق في هذا أبين من ان يكابر . علي بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضي . فقال يا علي من أشعر الناس في زماننا . قلت . البحتري . قال . و بعده قلت مروان بن أبي حفصة عبدك فالتفت الى الرضي فقال . يا ابن عم من أشعر الناس . قال علي ابن محمد العلوي قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما معنى قوله ـ نداء الصوامع ـ قال الشهادة . قال وابيك انه أشعر الناس ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا

بلغنا السماء بانسابنا * ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا * بحسن البلاء كشفنا البلاء
اذا ذكر الناس كنا ملوكا * وكانوا عبيدا وكانوا اماء
يطيب الثناء لابائنا * وذكر على يطيب الثناء
هجانى رجالٌ ولم أهجهم * أبى الله لى أن أقول الهجاء

(وقال آخر)

وانى من القوم الذين عرفتهم * اذا مات منهم سيدٌ قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقضَّ كوكب * بدا كوكب تاوى اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مقاول لسنُ
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

(ضده)

عن ابن عباس رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية قال وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم لم تفتخروا انما خرجت من سبيل بولين نطفة مشججت باقذار . وقال بعضهم لرجل أتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار . وروى عن ابن عباس أنه قال الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة . وقيل فى ذلك

يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس صحة عقله * وان كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال وما أقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى

وطنى . وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب . ألا ترى ان أخوين لاب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

أبوكَ أبي والجدُّ لاشكَ واحدٌ * ولكننا عودانِ آس وخروعُ

و بلغنا عن المدائنى انه قال . ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين ابن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلب بن أبى صفرة بجميع هذه الخصال . وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أتاه اعرابى فقال بابى أنت وأمى يارسول الله من أكرم الناس حسبا قال أحسنهم خلقا وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابى فقال ردوه ثم قال يا اعرابى لعلك أردت أكرم الناس نسباً . قال نعم يا رسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الآباء فى جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحد أبدا . وقال الشاعر فى ذلك

ولم أرَ كالاسباطِ أبناءَ واحد * ولا كابيهم والدا حينَ ينسبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال أنا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم أنت اذا يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسى وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا ولغطا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فى عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال . يامعشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشى وفارسى . ورومى فقال سهيل . يا أباسفيان أنفسكم فلوموا ولا تذموا أمير المؤمنين دعى القوم فاجابوا ودعيتم فابيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبو سفيان لا خير فى مكان يكون فيه بلال شريفا (فاما صناعات الاشراف) فانه روى ان أبا طالب كان يعالج العطر والبز وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين . وكان سعد بن أبى وقاص يعذق النخل . وكان أخوه عتبة نجارا . وكان العاص بن هشام أخو أبى جهل بن هشام جزارا . وكان الوليد بن المغيرة حدادا وكان عقبة بن أبى معيط خمارا . وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا . وكان أبو

سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم . وكان أمية بن خلف يبيع البرم . وكان عبد الله بن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل . وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك ابن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين . وكان المسيب أبو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا . وكان بن مالك بن دينار وراقا . وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا وكان مجمع الزاهد حائكا / قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو . هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك فقال . قتيبة أبى كان اشتربان وكان أبو يزيد بستانبان فمها صار ذلك كذلك . قال وذكروا ان المامون ذكر أصحاب الصناعات فقال . السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه ﴾

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال . الحمد لله الذى أنقذنى من ناره بخلافته . وقال الوليد ابن عبد الملك لاشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربى . وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه مارجو الخير كله الا بعد الموت والله مارضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه ألبس ابليس اذقال (رب أنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقال أبو جعفر المنصور الحمد لله الذى أجارنى بخلافته وأنقذنى من النار بها . وحدثنى ابراهيم بن عبد الله عن أنس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا العجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى قالت أمات ابنى قال نعم . قالت أحق ماتقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تعيننى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضده ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه . يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه اكراها و يوجر ايجارا حتى ينبت عليه لحمه

ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان مات اعطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون اماناتهم ويسرق أمتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه

﴿ محاسن طلب الرزق ﴾

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفرا أحدث لك رزقا . وفى بعض الحديث سافروا تغنموا . وقال الكميت بن زيد الاسدى

ولن يزيح هموم النفس ان حضرت * حاجاتُ مثلك الا الرحلُ والجملُ

وقال أبو تمام الطائى

وطول مقام المرء فى الحىّ مخلقٌ * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيتُ الشمسَ زيدت محبة * الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنىّ عيال . وأنشد

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترضَ من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليلَ من كان معسرا

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض . وتقول من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا . ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام . هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول هرك روذجرد هرك خسبد خواب بيند . وأنشد

كفى حزنا أن النوى قذفت بنا * بعيدا وأن الرزق أعيت مذاهبه

ولو أننا اذ فرقَ الدهر بيننا * غنى واحد منا تموّل صاحبُه

ولكننا من دهرنا فى مؤونة * يكالبنا طورا وطورا نكالبه

وقال آخر

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال غنيمة * ومبلغ نفس عذرها مثلُ منجح

وقال آخر

وليس الرزق عن طلب حثيث * ولكن ادل دلوك فى الدلاء

تجنك بعلمها وحينا وطورا * تجيء بحماة وقليل ماء

(ضده)

قيل . وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس نارا فنودي بالنبوة و بلغنا عن ابن السماك أنه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت مسؤل عنه غدا واياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

اني علمت وعلم المرء ينفعه * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

وقال آخر

سهل عليك فان الرزق مقدور * وكل مستانف في اللوح مسطور
أتى القضاء لما فيه لمدته * وكل مالم يكن فيه فمحظور
لا تكذبن بخير القول أصدقه . ان الحريص على الدنيا لمغرور

وقال آخر

لا تعتبن على العباد فانما   يأتيك رزقك حين يؤذن فيه

وقال آخر

هي المقادير تجرى في أعنتها   فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس القوم ترفعه   دون السماء ويوما تخفض العالي

وقال آخر

اصبر على زمن جم نوائبه   فليس من شدة الا لها فرج
تلقاه بالامس في عمياء مظلمة   ويصبح اليوم قد لاحت له السرج

وقال آخر

ألا رب راج حاجة لا ينالها   وآخر قد تقضى له وهو آيس
يجول لها هذا وتقضى لغيره   فتاتى الذي تقضى وهو جالس

وقال آخر

فلما أنْ عتبتُ بما ألاقي * وأعيتني المسائلُ بالقروضِ
دعوتُ اللهَ لا أرجو سواهُ * وربُّ العرش ذو فرج عريض

وقال آخر

ياصاحبَ الهمّ إن الهمّ منفرجٌ * أبشر بخير كأنْ قد فرَّج اللهُ
الياس يقطعُ أحيانا بصاحبه * لا تياسنَّ فان الصانع اللهُ
اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو اللهُ

وقال آخر

واذا تصبكَ من الحوادث نكبةٌ * فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشفُ

(محاسن المواعظ)

قال الاصمعى حججت فنزلت ضربة فاذا اعرابى قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكب قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم أسراركم . أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا لانفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوىّ اقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه « وانما توفونَ أجوركم يومَ القيامةِ فمن زُحزح عن النارِ وأدخلَ الجنةَ فقدْ فاز وما الحياةُ الدُّنيا الا متاعُ الغرُور » وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارديباه ومن وكل به الموت أفناه . وقال اعرابى كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات و بسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحدا الا استدركه الموت . وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه . وقال كسرى لم يكن من حقّ علمه أن يقتل وانى لنادم على ذلك (١) . قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد و يقدم على ملك عادل

---

(١) هكذا فى الاصل و فى العبارة نقص فليحرر

بغير حجة و يسكن قبرا موحشا بغير أنيس

(ضده)

قيل لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديدا فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعرا يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به . فقال رجل من أهل الشام . يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت أو بان يذهب الى مكان فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة . وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال ليت . اني وجدت انسانا يخفف عني مصيبتي فقال له الرسول أقول قال قل . قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

(محاسن فضل الدنيا)

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة و يربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور و ببلائها الى البلاء تخويفا وتحذيرا وترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال يا أهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر . والله لو أذن لهم لاجابوا بان خير الزاد التقوى . وأنشد

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه . وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت . فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك . قالت اذا كان آخر النهار

جاءتنى امرأة متزينة فتضع بين يدى كوزا من ماء ورغيفين . قلت لها أتعرفينها . قالت اللهم لا . قالت هى الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا تخدمتك

(ضده)

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها . كلمى الامير . فقالت أأوجز أم أطيل . قال بل أوجزى قالت . كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا قال . فامر لها باوساق من شعير فقالت . أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت فسر زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيد هذا الكلام ليدرس . فقال

سل الخير أهلَ الخير قدماً ولا تسل * فتى ذاقَ طعم الخير منذ قريب

ويقال . ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فالفاها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك . قالت ما من دار امتلأت سرورا الا امتلأت بعد ذلك ثبورا ثم قالت

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * إذا نحن فيهم سوقة نتنصفُ
فاف لدنيا لا يدومُ نعيمها * تقلبُ تارات بنا وتصرّف

قال . وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سببا لردها عليه . قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمى أى الزمان أدركت أفضل وأى ملوكه أكمل . قال أما الملوك فلم أر إلا ذاما وحامدا وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الامل . قال فاخبرنى عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

درج الليل والنهار على فهـ * ـم بن عمرو فاصبحوا كالرميم
وخلت دارهم فاضحت قفارا * بعد عز وثروة ونعيم
وكذاك الزمان يذهب بالنا * س وتبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا * يحبّون الغنىّ من الرّجال
وان كان الغنى أقلّ خيرا * بخيلاً بالقليل من النوالِ

فلا أدري علام وفيم هذا * وماذا يرتجون من المحال
أللدنيا فليس هناك دنيا * ولا يرجى لحادثة الليالي

قال . أناوقد كتمتها . قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى ايوان كسرى أنشد بعض من حضره . قول الاسود بن يعفر

ما اذا أ أمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم و بعد اياد
أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب نسيمها * كعب بن مامة وابن أم داود
جرت الرياح على محل ديارهم * فكانما كانوا على ميعاد
فاذا النعيم وكل مايلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال علي صلوات الله عليه أبلغ من ذلك قول الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) . وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام : وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة . وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتعك بصاحب . قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها . وقال اذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال الشاعر

أيا دنيا حسرت لنا قناعا * وكان جمال وجهك في النقاب
ديار طالما حجبت وعزت * فاصبح أذنها سهل الحجاب
وقد كانت لنا الايام ذات * فقد قرنت بايام صعاب
كان العيش فيها كان ظلا * يقلبه الزمان الى ذهاب

قال الاصمعي . وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قبة مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره * فسوف لعمري عن قريب يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(وقال أبو العتاهية)

يا من ترفع بالدنيا وزينتها ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الناس همته وذاك يصلح للدنيا وللدين

(وقال آخر)

هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى زوال

(وقال محمود الوراق)

هى الدنيا فلا يغررك منها مخائل تستفز ذوى العقول
أقل قليلها يكفيك منها ولكن لست تقنع بالقليل
تشيد وتبتنى فى كل يوم وأنت على التجهز للرحيل
ومن هذا على الايام تبقى مضاربه بعدرجة السيول

(وقال آخر)

دنيا تداولها العباد ذميمة شيبت باكره من نقيع الحنظل
وبنات دنيا ما تزال ملمة منها فجائع مثل وقع الجندل

(وقال آخر)

حتى متى أنت فى دنياك مشتغل وعامل الله بالرحل مشغول

(وقال أبو نواس الحسن بن هانئ)

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع لك المال فما تدرى لمن تجمع
ولا تدرى أفى أرضك أم فى غيرها تصرع

قال الاصمعى سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور فى بعض البرارى اذا أنا بصوت.

وان امرأ دنياه أكثر همه لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت إنسى أم جنى فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى. قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى فى صفة الدنيا

حتوفها رصد وعيشها نكد وشربها رنق وملكها دول

فقال لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا. قال وسمع المامون بيت أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

فقال . لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبى نواس . وقيل للحسن البصرى ما تقول فى الدنيا . قال ما أقول فى دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل . ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدى بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

﴿ محاسن الزهد ﴾

محمد بن الحسن عن أبى همام وكان قد عرف ضيغما قال . كنت معه فى طريق مكة فلما بعدنا فى الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت . لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال . فنظر الى السماء وقال . ان شاء الله فعل قال فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت . وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لاهله دقيقا فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فاعطاه الباقى فاتى النجارين فملأ مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج هاربا من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوارى لم ير مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذى جئت به . وعن أبى عبد الله القرشى عن صديق له قال . دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسل الدلو فاخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فاخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئا قط أطيب منه فاردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتنى فلما كان فى الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم فى ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول فقلت يا هذا أسالك برب هذه البنية من أنت . قال تكتم على حتى أموت . قلت نعم قال لى أنا سفيان الثورى وكانت تلك الشربة تكفينى اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا . وقال الاصمعى . رأيت اعرابيا يكدح جبهته بالارض يريد ان يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال انى وجدت الاثر فى وجه الرجل الصالح وقال الشاعر

كيف يبكى لمحبس فى طلول من سيقضى ليوم حبس طويل
ان فى البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم ربع محيل

(وقال آخر)

ان الشقى الذى فى النار منزله والفوز فوز الذى ينجو من النار
يارب أسرفت فى ذنبى ومعصيتى وقد علمت يقينا سوء آثارى
فاغفر ذنوبا الهى قد أحطت بها رب العباد وزحزحنى عن النار

(وقال ذو الرمة)

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا محالٌ فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

(وقال أبو نواس)

أيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كلّ تحريكة وتسكينة فاعلمن شاهد
وفى كلّ شىء له آية تدل على أنه واحد

(وقال أيضا)

سبحان من خالق الخلـ ـق من ضعيف مهين
يسوقهم من قرار الى قرار مكين
يحوز خلقا فخلقا فى الحجب دون العيون
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

(وقال آخر)

أخى مابال قلبك ليس ينقى كانك ماتظن الموت حقا
ألا ياابن الذين مضوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى
ومالك غير تقوى الله زادٌ اذا جعلت الى اللهوات ترقى

(وقال آخر)

ياقلب مهلا وكن على حذر فقد لعمرى أمرت بالحذر
مالك بالترّهات مشتغلا أفى يديك الامان من سقر

(وقال آخر)

ان كنت تؤمن بالقيا مة واجترأت على الخطيئه
فلقد هلكت وان جحد ت فذاك أعظم للبليه

(وقال آخر)

وأفنية الملوك محجبات ... وباب الله مبذول الفناء
فما أرجو سواه لكشف ضرى ... ولا أفزع الى غير الدعاء
ولا أدعو الى الأواء كهفا ... سوى من لا يصم عن الدعاء

(ضده)

قيل . كان جندى يغزو بن يصلى فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياما فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه . فقال له المؤذن . أبو من . قال أبو الجحيم . قال بئس ياهذا رد الباب قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك . قال ليلة الدير . قيل له وما ليلة الدير . قال نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت (١) . قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم . قالوا نحن أربعة . فاومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس . قال الشاعر

وانى فى الصلاة أحضرها ... ضحكة أهل الصلاة ان شهدوا
أقعد فى سجدة اذا ركعوا ... وأرفع الرأس ان هم سجدوا
أسجد والقوم راكعون معا ... وأسرع الوثب ان هم قعدوا
فلست أدرى اذا هم فرغوا ... كم كان تلك الصلاة والعدد

(وقال آخر)

وأصلى فأغلط الدهر فيما ... بين سبع وأربع وثمان
ومواقيت حينها لست أدرى ... ما أذان موقت من أذان

(وقال آخر)

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد
عدلت مشافره الدنان فأنفه ... مثل القدوم يسنه الحداد
فابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

(١) ذكر ابن قتيبة فى كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابى الطمحان القينى وقد نسبت هذه الخزية أيضا للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عارا

(وقال آخر)

ان قرأ العاديات فى رجبٍ * لم يعد منها الا الى رجب
بل نحن لا نستطيع فى سنة * نختم تبت يدا أبى لهب

﴿محاسن النساء النادبات﴾

قيل . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء فى صخر أخيها

لابد من ميتة فى صرفها غيرٌ * والدهر من شانه حولٌ واضرار
وان صخرا لتأتمُّ الهداة به * كأنه علمٌ فى رأسه نار

وقيل للخنساء صفى لنا صخرا فقالت . كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف اذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد . وأنشدت

أسدان محمرَّا المخالب نجدةً * غيثان فى الزمن الغضوب الاعسر
قمران فى النادى رفيعا محتد * فى المجد فرعا سودد متخير

و روى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت . يا أم المؤمنين ان زوجى كان رجلا متلافا منفقا . فقال لى . لو أتيت معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقينى صخر فأخبرته فشاطرنى ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته . لو أعطيتها من شرارها - تعنى الابل - فقال

تالله لا أمنحها شرارها * وهى حصان قد كفتنى عارها
وان هلكت مزقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت ان لا انزعه حتى أموت . قال ثور بن معن السلمى حدثنى أبى قال . دخلت على الخنساء فى الجاهلية وعليها صدار من شعر وهى تجهز ابنتها فكلمتها فى طرح الصدار فقالت يا حمقاء والله لانا أحسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا . قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء . ما أقرح ما قى عينيك . قالت . بكائى على السادات من مضر . قال . يا خنساء انهم فى النار قالت . ذلك أطول لعويلى . ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرّقنى الدهر قرعا وغمزا * وأوجعنى الدهر نهشا ووخزا
وأفنى رجالى فبادوا معا * فاصبح قلبى لهم مستفزا
كأنْ لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عزَّ بزّا

وكانوا سراة بنى مالك * وزين العشيرة مجدا وعزا
وهم فى القديم صحاح الاديم والكائنون من الناس حرزا
بسمر الرماح وبيض الصفاح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
حززنا نواصى فرسانكم * وكانوا يظنون أن لاتحزّا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بان لايصاب فقد ظن عجزا
نعفُّ ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا
ونلبس فى الحرب نسج الحديد * وفى السلم نلبس خزا وقزّا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى . ذكروا انها اقبلت حاجة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها فاتوا عمر بن الخطاب فقالوا . هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها فى الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال . ياخنساء . قال فرفعت رأسها فقالت ماتشاء وما الذى تريد فقال . ما الذى أقرح مآقى عينيك . قالت . البكاء على سادات مضر . قال . انهم هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم . قالت فداك أبى وأمى فذلك الذى زادنى وجعا . قال فانشدينى ماقلت . قالت . اما انى لا أنشدك ماقلت قبل اليوم ولكنى أنشدك ماقلته الساعة . فقالت

سقى جدثا أعراقُ غمرة دونه * وبيشة ديمات الربيع ووابلهْ
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فانت على من مات قبلك شاغله
وأرعيهم سمعى اذا ذكروا الاسى * وفى الصدر منى زفرةٌ لاتزايله

فقال عمر . دعوها فانها لاتزال حزينة أبدا . ليلى الاخيلية هجاها رجل من قومها . فقال

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا * فقد ركبت ايرا أغر محجلا

(فاجابته)

تعيرونى داء بامك مثله * وأى جواد لايقال له هلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها . ياليلى هل بقى فى قلبك من حب توبة فتى الفتيان شىء . قالت . وكيف أنساه وهو الذى يقول ياأمير المؤمنين

ولو أن ليلى فى ذرى متمنع * بنجران لالتفت علىّ قصورها
حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لازال ريشك ناعما (١) * و بيضك فى خضراء غصن نضيرها
تقول رجالٌ لايضيرك نايها * بلى كلُّ ماشفَّ النفوسَ يضيرها

---

(١) رواية أبى على القالى فى أماليه ـ « ولازلت فى خضراء غض نضيرها »

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر * كواعب فى همدان بيضا نحورها

قال . عمرك الله ان تذكر به . ولتوبة فى ليلى الاخيلية

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى فى السماء لاصعدت * بطرفى الى ليلى العيون اللوامح

فلما مات توبة مر زوج ليلى بليلى على قبره فقال . لها سلمى على توبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة . فقالت ماتريد الى من بليت عظامه . فقال . والله لتفعلن . فقالت وهى على البعير . سلام عليك يا توبة فتى الفتيان . وكانت قطاة مستظلة فى ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط . قالت لا والذى أسأله صلاحك الا انه مرة قال لى قولا ظننت انه خنع لبعض الامر . فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لاخرى فارغ وخليل

فما كلمنى بعد ذلك بشىء حتى فرق بينى و بينه الموت قال الحجاج فما كان بعد ذلك قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة فقل باعلى صوتك

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنه عفا ربى وأحسن حاله تعزّ علينا حاجة لا ينالها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فانشدته . قولها فيه

اذا نزل الحجاج أرضا سقيمة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها غلام اذا هز القناة ثناها
أحجاج لا تعطى العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها

فوصلها الحجاج بالف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن | هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند . فقالت

انى رأيت فسادا بعد اصلاح فى عبد شمس فقلبى غير مرتاح
هاجت لهم أدمع تترى ومنبعها من رأس محروبة ما ان لها لاحى

لما تنادت بنو فهر على حنق | والموت بينهم ساع لارواح
كانما النسج فى قتلى مصرعة | سرج أضاءت على جدر وألواح
يا آل هاشم انا لا نصالحكم | حتى نرى الخيل تردى كل كفاح
ان يمكن الله يوما من هزيمتكم | يورث نساءكم داء بتقراح

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هند مهلا لقد لاقيت مهبلة | يوم الاعنة والارواح فى الراح
أسد غطارفة غر جحاجحة | أبناء محصنة بيض لجحجاح
هنالك الفوز والرضوان ان صبروا | مع الرسول فما آبوا بتقباح
الله أهلكهم والاوس شاهدة | والخزرج الغر فيهم كل مجتاح
لا تبعدن فانى غير صارخة | وكيف تصرخ ذات البعل يا صاح

﴿النساء الماجنات﴾

قال سليمان بن عبد الملك انشدونى أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء فى بعض طرقاته اذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال

لو بتفاحة رميت رجونا | ومن الرمى بالحصاة جفاء

(فاجابته)

ما جهلنا الذى ذكرت من الشكل ولا بالذى نراه خفاء

(ودابة معها فقالت)

قد بدا أنه ماذكرت وجدى | ليت شعرى فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمرى دعوتها فاجابت | هى داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هى والله أشعرهم

لقد جد الفراق وعيل صبرى | عشية عيرهم للبين زمت

(عنان جارية الناطق) قال السلولى دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابى فقالت يا عم لقد أتى الله بك . قلت وماذاك قالت هذا الاعرابى دخل على فقال بلغنى انك تقولين الشعر فقولى بيتا فقلت لها قولى فقالت قد ارتج على فقل انت فقلت

(فقال الاعرابى)

نظرت الى أواخرها ضحيا   وقد بانت وأرض الشام أمت

(فقالت عنان)

كتمت هواكم فى الصدر منى   على أن الدموع على نمت

فقال الاعرابى أنت والله أشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبل البساط وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقدتنا ولها سيدها بضرب شديد وهى تبكى فقلت

انّ عنانا أرسلت دمعها   كالدُّرّ اذ ينسلُّ من سمطه

فقالت وأشارت الى مولاها

فليت من يضربها ظالما   تجفُّ يمناه على سوطه

فقال مولاها هى حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما أو غير ظالم. قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشى والحسين الخليع وعمرو الوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط فى منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندى . فقالت عنان بالله قولوا شعرا وأرضوا بحكمى . فقال الرقاشى

عذراء ذات احمرار   انى بها لا أحاشى
قوموا نداماى رَوّوا   مشاشكم من مشاشى
وناطحونى كؤوسا   نطاح صلب الكباش
وان نكلت فخلٌّ   لكم دمى ورياشى

(فقال أبو نواس)

لا بل الىَّ ثمانى   قوموا بنا بجيانى
قوموا نلذُّ جميعا   بقول هاك وهات
فان أردتم فتاة   أتيتكم بفتاتى
وان أردتم غلاما   صادفتمونى مؤاتى
فبادروه مجونا   فى وقت كل صلاة

(وقال الحسين الخليع)

أنا الخليع فقوموا   الى شراب الخليع
الى شراب لذيذ   وأكل جدى رضيع

ونيك أحوى رخيم بالخندريس صريع
قوموا تنالوا وشيكا مثال ملك رفيع

(وقال اوراق)

قوموا الى بيت عمرو الى سماع وخمر
وساقيات علينا تطاع فى كل أمر
وبندرى رخيم يزهو بجيد ونحر
فذاك بر وان شئتم أتينا بجحر
هذا وليس عليكم أولى ولا وقت عصر

(وقال محكم بن رزين)

قوموا الى دار لهو وظل بيت دفين
فيه من الورد والمرزجوش والياسمين
وريح مسك زكى وجيد الزرجون
قوموا قصيرا جميعا الى الفتى ابن رزين

(فقال الحسين الخياط)

قضت عنان علينا بان نزور حسينا
وأن تقروا لديه بالفضل والله عينا
فما رأينا كظرف الحسين فيما رأينا
قد قرب الله منه زينا وباعد شينا
قوموا وقولوا أجزنا ماقد قضيت علينا

(وقالت عنان)

مهلا فديتك مهلا عنان أحرى وأولى
بان تنالوا لديها أسنى النعيم وأحلى
فان عندى حراما من الشراب وحلا
لاتطمعوا فى سوائى من البرية كلا
ياسادتى خبرونى أجاز حكمى أملا

فقالوا جميعا . قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها . قال وكتبت عنان الى الفضل بن الربيع

كن لى هديت الى الخليفة سلما بوركت ياابن وزيره من مسلم
حث الامام على شراى وقل له ريحانة ذخرت لانفك فاشمم

وكانت عنان تتوقى أبانواس وتخاف مجونه وسفهه . وفيها يقول

عنان يامن تشبه العينا أنتم على الحب تلومونا
حسنك حسن لايرى مثله قد ترك الناس مجانينا

فتهيأت لابي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فاحب أن يخجلها فقال لها

ما نامرين لصب يكفيه منك قطيره

فقالت ايای تعنی بهذا عليك فاجلد عميره

فقال انی أخاف وربی على يدی من عميره

فقالت عليك أمك . . . فانها كندبيره

فاخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفى فحملت اليه فقال لها ياعنان . فقالت . لبيك ياسيدى . فقال * مانامرين لصب *

قالت قد مضى الجواب فى هذا ياأمير المؤمنين . قال بحيانى كيف قلت . قالت قلت

ايای تعنی بهذا عليك فاجلد عميره

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالاجزيلا فردها

﴿عريب جارية المامون﴾

وأنتم أناس فيكم الغدر شيمة لكم أوجه شتى وألسنة عشر
عجبت لقلبي كيف يصبوا اليكم على عظم مايلقى وليس له صبر

﴿فضل الشاعرة﴾ حدثنا القاسم بن عبدالله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فاتته هدايا فضل الشاعرة ألف جدى وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغيرذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لايتم سروره الابك وبحضورك وكان من أحسن الناس ضربا بالعود وأملحهم صوتا وأجودهم شعرا فاتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا اقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والابيات هذه

يامن أطلت تفرسى فى وجهه وتنفسى
أفديك من متدلل يزهو بقتل الانفس

هبـــنى أسات وما أسا * ت بلى أقـول أنا المسى
أحلفتـــنى أن لا أسا * رق نظـــرة فى مجلسى
فنظـرت نظرة عاشـق * أتبعتهـا بتنـــفسى
ونسـيت أنى قـــد حلفت * فما يقـال لمن نسى

وضربت أيضا وغنت

عاد الحبيب الى الرضـا * فصفحت عما قـد مضى
من بعـد ما الصـدود * شمت الحسـود فعرّضا
تعس البغيـض فلم يزل * لصــدودنا متعــرضا
هبـــنى أسات وما أسا * ت فان أسات لك الرضا

قال فما أتى على يوم أسر من ذلك اليوم

﴿صاحبة الفرزدق﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لاصحابه هل أخجل لكم هذه . قالوا . نعم . فقال

ان لى . . . خيئا * لونه يحكى الكميتا
لو يرى فى السقف صدعا * لتحـول عنـكبوتا
أو يرى فى الارض شقا * لنزا حتى يموتا

فقالت الجارية

زوجوا هـــذا بالف * وأرى ذلك قـوتا
قبـل أن ينقلب الدا * ء فلا يأتى و يؤتى

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

﴿صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى﴾ قالت

عزمت على قلبى بان أكتم الهـوى * فضجّ ونادى اننى غـير عاقل
فان حان موتى لم أدعـك بغصـتى * وأقررت قبل الموت أنك قاتلى

﴿جارية البارقى﴾ ذكروا أنها أنشدت فى مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسـن العالم حتى متى * يرتفـع الحب وانحط
وكيـف منجاى و بحر الهوى * مـذحف بى ليس له شط

---

(١) فى هامش الاصل . قيل ان هذه الرواية جرت بين أبى نواس وعنان جارية الناطفى والابيات تروى على غير هـذا

فاجبت بدركك الوصل فتنجو به * أو يقع البحر فتنحط

﴿ المغنية المليحة ﴾ قال علي بن الجهم . كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فاقبلت جارية كانها البدر ليلة التمام بلون كانه الدر في البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لي محمد يا أبا الحسن هذه الجنة التي كنتم توعدون . فقالت

وما الوعد يا مولى وغاية منيتي * فان فؤادي من مقالك طائر

فقال لها محمد

أما وإله العرش ماقلت سيئا * وما كان الا أنني لك شاكر

فقال ابن الجهم

أمسك فقد يتك عن عتاب محمد * فهو المصون لوده المتحاذر

فاقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قاتل و ردف مائل . فقلت لقد أقر الله عينا تراك . فقالت . أقر الله أعينكم وزادكم سرورا وغبطة ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها

أروح بهم من هواك مبرح * أناجي به قلبا كثير التفكر

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فما زلنا يومنا ذلك معها في الفردوس الاعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها . محمد بن حماد قال . كنا يوما عند اسحق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبي تكامل في نهاية حسنه * فزها ببهجته وتاه بصده

فالشمس تطلع من فرند جبينه * والبدر يغرق في شقائق خده

ملك الجمال باسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

يارب هب لي وصله وبقاءه * أبدا فلست بعائش من بعده

فطارت عقولنا وذهلت ألبابنا من حسن غنائها وظرفها . فقلت يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك : فقالت

فان بحت نالتني عيون كثيرة * وأضعف عن كتمانه حين أكتم

﴿ الاعرابيات ﴾

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال. لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فانتهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم فحاصرها فلما قربنا من النوم اذ نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أمير المؤمنين سما الينا * سمو البدر مال به الغريف
فان نسلم فعفو الله نرجو * وان نقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل أحسنت. ما جزاؤها يا فتح. قلت العفو والصلة فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها. مري الى قومك وقولي لهم لا تردوا المال على التجار فاني أعوضهم عنه الاصمعي قال خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجهاً وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً فخار فيها بصري واعترتني خجلة. فقالت ما وقوفك. فقلت

هل عندكم من محيض اليوم نشربه * أم هل سبيل الى تقبيل عينيك
فلست أبغي سوى عينيك منزلة * أم هل تجودي لنا عضا بخديك
أو تأذنين بريق منك أرشفه * أو لمس بطنك أو تغمير ثدييك
ردي الجواب على من زاده كلفا * تكريره الطرف في أجدال ساقيك

فرفعت رأسها الي وقالت. يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلك وارغب في مثلك. وقال بعضهم رأيت اعرابية بالنباج فقلت لها. أتنشدين. قالت نعم في مثلك ورب الكعبة. قلت فانشديني. فانشأت تقول

لا بارك الله فيمن كان يخبرني * ان المحب اذا ما شاء ينصرف
وجد المحب اذا ما بان صاحبه * وجد الصبي بثدي أمه الكلف

قال قلت لها. أنشديني من قولك فقالت

بنفسي من هواه على التنائي * وطول الدهر مؤتنق جديد
ومن هو في الصلاة حديث نفسي * وعدل الروح عندي بل يزيد

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق. فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتني

ألا بابي والله من ليس نافعي * بشيء ولا قلبي على الوجد شاكره
ومن كبدي تهفوا اذا ذكر اسمه * بشيء ومن قلبي على النأي ذاكره
له خفقان يرفع الجيب بالشجى * ويقطع ازرار الجربان ثائره

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

برز البدر في جوار تهادى * مخطفات الخصور معتجرات
فتنفست ثم قلت لبكر * عجلات في الحياة لي حيات
هل سبيل الى التي لا أبالي * بعدها أن أموت قبل وفاتي

فاجابته

قد أتانا الرسول بالايات * في كتاب قد خط بالترهات
حائر الطرف ان نظرت وماطر * فلك عندي بصادق النظرات
غر غيري فقد عرفت لغيري * عهدك الخائن القليل الثبات

﴿ المتكلمات ﴾

حدث عمر بن يزيد الاسدي قال مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط . قالت . أما علمت أني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم على أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

فقلت لها . لقد أترفيك الدهر . قالت . أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة * ولو عمرت تعمير نوح وجالت

قال ورأيتها وان فيها لمباشرة وان ديباجة وجهها لطرية كانها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت أنه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة . وحدث رجل من بني أسد قال أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فقلت أهذه مي وأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر الي بعينين وأنت تنظر الي بعين واحدة وروى الاصمعي عن رجل من أهل الشام قال . قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك . قالت وفد الى بعض الاخوان . قلت فانحري لنا ناقة فانا أضيافك . قالت يا عماه والذي خلقك ما عندنا شيء قلت فباطل ما قال أبوك . قالت فما قال . قلت قال

كم ناقة قد وجأت منحرها * لمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت يا عماه فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء . قال وأتى زياد الاقطع باب الفرزدق وكان له صديقا فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فامك قالت حبشية فامسك عنها فقالت

ما بال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله . وجاء الفرزدق فاخبر بالخبر فقال أشهد انها ابنتى . وأنشأ يقول

حام اذا ما كنت ذا حميه * بدار مى بنتـه صـبيه

صمحمح مثـل أبى مكيه

وحدث سليمان بن عباس السعدى قال . كان كثير يلقى حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل ففعل عاما من الاعوام غير يومهم الذى نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا فى يوم صائف ووافى قديدا وقد كلّ بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقى فتى من قريش فقال الفتى لكثير اجلس قال فجلس كثير الى جنبى ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيرا فقالت أنت كثير . قال نعم . قالت أنت ابن أبى جمعة قال نعم . قالت أنت الذى تقول

وكنت اذا ماجئت أجللن مجلسى * وأضمرن منى هيبة لا تجهما

قال نعم قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشىء فسال الموالى التى فى الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذى تقول

متى تنشرا عنى العمامة تبصرا * جميل المحيا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذى تقول

يروق العيون الناظرات كانه * هرقلىُّ وزن أحمر التبر راجح

أهذا الوجه الذى يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . قال فازداد ضجرا واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفى حتى توارى عنى ثم نظرت الى المرأة فاذا هى قد غابت عنى فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علىّ ان أخبرتينى من هذه المرأة ان أطوى لك ثوبى هذين اذا قضيت حجى ثم أعطيكما فقالت والله لو أعطيتنى زنتهما ذهبا ما أخبرتك من هى هذا كثير مولاى لم أخبره قال القرشى فرحت وبى أشد مما بكثير . قيل وقدم كثير الكوفة وكان شيعيا من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلونى على منزل قطام قيل له . وما تريد منها قال أريد ان أوبخها فى قتل على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقيل له عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء قال لا والله لا انتهى حتى انظر اليها واكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة برزة قد تخددت وقد حنا الدهر من قناتها

فقالت من الرجل قال كثير بن عبد الرحمن قالت التيمى الخزاعى قال التيمى الخزاعى . ثم قال لها أنت قطام قالت نعم قال أنت صاحبة على بن أبى طالب صلوات الله عليه قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال أليس هو قتل عليا قالت بل مات باجله قال والله انى كنت أحب ان أراك فلما رأيتك نبت عينى عنك وما ومقك قلبى ولا احلوليت فى صدرى قالت أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل لان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فانشأ كثير يقول

رأت رجلا أودى السفار بجسمه   فلم يبق الا منطق وجناجن

قالت . لله درك ما عرفت الا بعزة تقصيرا بك قال . والله لقد سار لها شعرى وطار بها ذكرى وقرب من الخلفاء مجلسى وانها لكما قلت فيها

وان خفيت كانت لعينيك قرة   وان تبد يو مالم يعمك عارها
من الخفرات البيض لم تر شقوة   وفى الحسب المحض الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من فيها اذا جئت طارقا   وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

قالت . والله ما سمعت شعرا أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية طاب ريحها الا قلت . كما قال امرؤ القيس

ألم ترانى كلما جئت طارقا   وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قال فلله در بلادك وخرج وهو يقول

ألحق أبلج لا تزيغ سبيله   والحق يعرفه ذوو الالباب

قال . وقال المسيب راوية كثير انطلق كثير مرة فقال لى هل لك فى عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم فقلت نعم قال فخرجنا نريده حتى اذا اصدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت أتروى لكثير شيئا قلت نعم قالت أنشدنى فانشدتها من شعره فقالت أين هو قلت هوذاك الذى تربن على غير الطريق فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لعمرك ما رب الرباب كثير   بفحل ولا آباؤه بفحول

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هى أجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هى غاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة فقالت بنا الطريق فقالت له هل لك ان تأتى الكوفة فاضمن لك على بشر

الصلة والجائزة فابى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما أخذنا الخمسة آلاف قال ما أصنع بعكرمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شجا أظعانُ غاضرة الغوادى * بغير مشورة عوضاً فؤادى

أغاضرَ لو رأيت غداة بنتم * حنوَّ العائدات على وسادى

رثيت لعاشق لم تشكميه * نجوانحه تلذّع بالزّناد

ـ الشكيمة ـ العطية ـ والزّناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار قال الحكم بن صخر الثقفى حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم أر كجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسالت سؤال منكر فقلت. فلانة قالت فداك أبى وأمى رأيتك عاما أول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفى وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها فقلت ما فعلت أختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

اذا ما قفلنا نحوَ نجد وأهله * فحسبى من الدنيا القفولُ الى نجد

فقلت أما انى لو أدركتها لتزوجتها قالت فداك أبى وأمى فما يمنعك من شريكتها فى حسنها وشقيقتها فى حسنها قلت قول كثير

اذا وصلتنا خلةٌ كى تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبيةُ أوّل

قالت. وكثير بينى و بينك أليس هو الذى يقول

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

قال فتركت جوابها ولم يمنعنى منه الا العى

﴿ محاسن النساء ﴾

قيل. أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة و بالعشى الى الصفرة. وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفى البطن الثانى من حملها. وقيل لاعرابى أى أحسن صفة النساء قال نم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها ووصف اعرابى امرأة. فقال. كان وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها . وذكر اعرابى امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها صنائع نور ورشق السحر عن لحظها باسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها وذكر اعرابى امرأة فقال هى شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لى شفيع اليها غيرها فى اقتضائها ولكنى كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابى امرأة فقال ما أحسن من حبها نعاسا ولا أنظر اليها الا اختلاسها وكل امرىء منها يرى

ما أحب وذكر اعرابى امرأة فقال لها جاد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الازفر فى كل عضو منها شمس طالعة ومما جاء فى الحسن من الشعر . قال عبد الله بن المعتز أنشدنى أبو سهل اسماعيل بن على لابى الصواعق

ومريض طرف ليس يصرف طرفه ... نحو المدى الا رماه بحتفه
ظبى له نظر ضعيف كلما ... قصد القوى أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مر يخطر مائسا ... والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه ... سلم فؤاد محبه من طرفه

فقلت فى هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه ... لاخبرن قصائدى فى وصفه
قمر به قمر السماء متيم ... كالغصن يعجب نصفه من نصفه
انى عجبت لخصره من ضعفه ... ماذا يحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدرى بأية فتنة ... جرح الفؤاد بلطفه أم ظرفه
أم بالدلال أم الجمال أم الضيا ... من وجهه أم بالقفا من خلفه

وأنشد أبو الحسين بن فهم لابى نواس

كفاك مامر على راسى ... من شادن قطع أنفاسى
أكثر ما أبلغ فى وصفه ... تحيرى من قلبه القاسى
أغار أن أنعت منه الذى ... ينعته الناس من الناس
ولم أر العشاق قبلى رأوا ... بوصف من يهوون من باس
كل أحاديثى نعت له ... منكشف منى لجلاسى

فقلت فى هذا المعنى وهذا الروى والوزن

لو عثر مامر على راسى ... مر بصلد حجر قاسى
لانصدعت منه صدوع كما ... صدع قلبى طول وسواسى
ياغصن آس وعال اذا ... قصرت تشبيهك بالآس
ماذا على طرفك لو أنه ... أعار لحظا منه قرطاسى
ليتك علات بطل ولم ... تقطع رجائى منك باليأس

وقال آخر

وزائرةٍ بعثتها الشوقُ طارقةً * أتتنا من الفردوس لا شك آبقه
اذا ماثنتْ قال للريح قدُّها * كذا حرَّكي الاغصانَ ان كنتِ صادقه

وقال آخر

قد أقبلَ البدرُ في قراطقه * يسلب بالدَّل قلب عاشقه
يسطو عليه بسيفِ مقلته * لا بالذى شدَّ فى مناطقه

وقال آخر

قلْ للملاح الحدق * وللحسانِ الخلق
هل فى فؤادى للقوى * أوجسدى شيء بقى
ان لم تروّوا عطشى * بخلاً فبلوا رمقى
يا مقلة أجفانها * محشوةٌ بالارق
بقيتِ فى رقّ الهوى * شفيةً فيمن شقى

وقال آخر

يا ملاحَ الدلال والاغتناج * ما أرى القلب من هواكنّ ناجى
أنت أرقمت فوق خدّيك صدغا * من عبير على صفائح عاج
أشرقت وجنتاك بالنور حتى * أغنتا الخلق عن ضياء السراج
فعلت مقلتاك بالقلب منى * فعلة القرمطىّ بالحجاج
يا هلالا أنستُ منه بضوء * جنح ليل من الظلام الداجى

وقال آخر

نشرت غدائر فرعها لتظلنى * حذر العيون من العيون الرُّمق
فكأنها وكأنه وكأننى * صبحان باتا تحت ليل مطبق

وقال آخر

يا غزالا وهلالا * وقضيبا وكثيبا
كم وكم أضمرُ وجدا * بك مكتوما عجيبا
كيف يرجى برء من قد * كتم الداء الطبيبا

وقال آخر

شمس ممثلة في خلق جارية ... كانما بطنها طي الطوامير
فالجسم من جوهر والشعر من سبج ... والثغر من لؤلؤ والوجه من عاج

(وقال آخر)

تتيه دلالا حار في حسنه الطرف ... ففكرته قبر ومنطقه لطف
بديع جمال زانه العقل والظرف ... سماوي لون لا يحيط به وصف
له ريقة علت بماء قرنفل ... يمازجها التفاح والخمرة الصرف
تجسم في جسم من النور ساطع ... تمكن في دعص ينوء به ردف
على صحن خد به بهار منور ... وورد جنى لا يليق به القطف
تكامل فيه الحسن والنور والبها ... كبدر الدجى اذ تم من شهره النصف
براه الهي لي عذابا وفتنة ... فما عنده عدل ولا عنده عطف

(وقال آخر)

لك من قلبي المكان المصون ... كل لوم علي فيك يهون
قدر الله ان أكون شفيا ... بك والصبر عنك ما لا يكون
يا غزالا بلحظه يفتن النا ... س وفي طرفه الردى والمنون
لك صبر وليس لي عنك صبر ... فانا اليوم هائم محزون
قد خلعت العذار فيك حبيبي ... ما ابالي بما رمتني الظنون

(وقال آخر)

يا نظرة جاءت على ياس ... من ساحر المقلة مياس
أطرافه تعقد من لينها ... وقلبه كالحجر القاسي
يلومني الناس على حبه ... أعانني الله على الناس

(وقال آخر)

يا ويح جسم يذوب من قلقه ... من حب من لم أقف على خلقه
من حب ظبي مهفهف لبق ... يهتز مثل القضيب في ورقه
لم ترعيني ولن ترى أبدا ... أحسن من نحره ومن عنقه
كانما المسك حين تسحقه ... بماء ورد يفوح من عرقه
أو خمرة في الزجاج صافية ... شيبت بماء السحاب في نسقه

(وقال آخر)

أربعة قرحت فؤادي ... فطال وجدي وعيل صبري

مقلة خشف وقد غصن ... وطيب ورد وحسن بدر

نفسي ومالي فداء ظبي ... أذاب جسمي وليس يدري

فمن لصب أسير شوق ... قتيل صد بسيف هجر

(وقال آخر)

وما ريح ريحان بمسك وعنبر ... بعلّ بكافور ودهنة بان

باطيب مزريا حبيبي لوانني ... وجدت حبيبي خاليا بمكان

(محاسن التزويج)

روى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يا رسول الله انى أريد أن أتزوج فادع الله ان يرزقني زوجة صالحة . فقال لو دعا لك جبريل وميكائيل وأنا معهما ماتزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق ارحاما . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالابكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر قال الشاعر

لاتنكحن عجوزاً ان دعيت لها ... وان حبيت على تزويجها الذهبا

فان أتوك وقالوا انها نصف ... فان أطيب نصفيها الذي ذهبا

(وقال أيضا)

عليك اذا ما كنت لابد ناكحا ... ذوات الثنايا الغر والاعين النجل

وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا ... قطوف الخطا بلهاء وافرة العقل

وقال الحارث بن كلدة لاتنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج . وقال مغيرة بن شعبة حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكني أحفظها لمنصبها وولدها فكنت أسترضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية . وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه قال انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال . تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى

صداقها وقال الحجاج بن يوسف من تزوج قصيرة لم يجدها على ما يريد فعلى صداقها . وروى عن على صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال انى تزوجت امرأة مجنونة فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه يأخذنى عند الجماع غشية . فقال للرجل قم ما أنت لها باهل . وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . اياكم وخضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقال بعضهم لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا ـ فاما الحنانة ـ فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهى تحن اليه ـ والانانة ـ التى تأن من غير علة ـ والمنانة ـ التى لها مال تمن به ـ وعشبة الدار ـ الحسناء فى أصل السوء ـ وكية القفا ـ التى اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأته كذا وفعلت كذا . وقال محمد بن على رضى الله عنهما اللهم ارزقنى امرأة تسرنى اذا نظرت وتطيعنى اذا أمرت وتحفظنى اذا غبت . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم . وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

اذا أردت حرة تبغيها   كريمة فانظر الى أخيها
ينبيك عنها والى أبيها   فان أشباه أبيها فيها

(وقال آخر)

اذا كنت مرتادا لنفسك أيما   انجلك فانظر من أبوها وخالها
فانهما منها كما هى منهما   كما النعل ان قيست بنعل مثالها

(وقال آخر)

اذا كنت عن عين الصبية باحثا   فابصر ترى عين الصبى فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال . أطلب لى امرأة بكرا أو ثيبا كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الاطراف ثقيلة الارداف لونها كالرق وثديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تنثنى تثنى الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن البراق لا الطول ازرى بها ولا القصر قال الدلال . استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها . وقال أيضا . لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض اذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما

بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثا فتجمع بين اثافى ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك فقال له رجل . حرمت ما أحل الله . فقال . طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن . وعن صالح ابن حسان قال . رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهى التى علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغربلة والرهز وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن فى المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أوثدى احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى سقيفتها الا وأوصل اليها فى السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمر وبن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر فقالوا لها ياخالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا ننتفع الا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن فقالت لمصعب ياابن أبى عبد الله ومن خطبت قال عائشة بنت طلحة قالت فانت ياابن الصديق قال ام القاسم بنت زكرياء ابن طلحة قالت فانت ياابن أبى أحيحة قال زينب بنت عمر وبن عثمان فقالت ياجارية على بنعلى - تعنى خفيها - فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فاتت عائشة بنت طلحة فقالت مرحبا بك ياخالة فقالت يابنية انا كنا فى مادبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال الا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك فتجردى لا نظرك فالقت درعها ثم مشت فارتج كل شىء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت فداك أبى وأمى خذى ثوبيك وأتتهن جميعا على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت ياابن أبى عبد الله مارأيت مثل عائشة بنت طلحة قط ممتلئة الترائب زجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين ممرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا اننى رأيت خلتين هما أعيب مارأيت فيها اما احداهما فيواريها الخف وهى عظم القدم والاخرى يواريها الخمار وهى عظم الاذن وأما أنت ياابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمر وفراهة قط الا ان فى الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بامر تستأنس اليه وهى ملاحة تعتز بها وأما أنت ياابن الصديق فوالله مارأيت مثل ام القاسم ماشبهتها الا بخوط بانة تتثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها الا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوجوهن وقال اعرابى فى أخت له تزوجت بغير كفؤ

ولو ركبت ماحرم الله لم يكن باقبح عند الله مما استحلت

قال . وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأى ولم يكن فيها من يريد ابرام امر الا شاوره فاراد رجل من قريش أن يتزوج فاتاه فقال انا نريد أن أضم الى اهلا فاشر على قال افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك واياك والجمال البارع قال ولم تنهينى وانما هو نهاية مايطلب الناس قال لانه مافاق الجمال الا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

وان تصادف مرعى مونقاً أبداً * الا وجدت به آثار مأكول

قيل وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش الا في التزويج قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع . فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف . قالت نعم الشيء هذا . قالت الاخرى زوجي لما عنائي كاف ولما أسقمني شاف عرقه المسك المذاق وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد . قالت هذا خير منه . قالت الاخرى زوجي الشعار حين أبرد وأنيسي حين أفرد . فتزوجت فقلن لها . يا فلانة كيف رأيت . قالت . أنعم النعيم وسرورا لا يوصف ولذة ليس منها خلف

﴿أمثال في التزويج﴾

قيل أن أول من قال * لا هنك أنقيت ولا ماءك أبقيت * الضب بن أروى الكلاعي وذاك انه خرج من أرضه فلما سار أياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فردا يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من أفاضل أولئك هويته فارسلت اليه أن أخطبني فخطبها وكانوا لا يزوجون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم مالبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطير وا بضب وأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهي الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم تدع منها موقعا وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب . لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت . فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة . فانشا ضب يقول

تالله ماظلة أصاب بها * سواد قلبي قارع العطب
ظل كئيب الفؤاد مضطربا * وتكتنسي من غدائر قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفا * أو يخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بان رحا * دارت بشؤم لهم على قطب

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعري ثم ان بدالكم أن تقتلوني بعد

فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزا . وقيل ان أول من قال * فى الصيف ضيعت اللبن *
قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت فى أن يراجعها فابى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الاول مراجعتها وهوى بها هوى شديدا فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت به فقالت

أتركتنى حتى اذا * علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنا * فى الصيف ضيعت اللبن

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الاول واسمه الاشق فهل بقى شىء قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقى فان فصلته تزوجتك فرضى بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجى كلامى وكلامك ثم اقعد كانك لا تشعر به وقل

لحا الله بنت العبد ان وصالها * وصال ملول لا تدوم على بعل
تحدثنى أن سوف تقتل عامرا * لان لم يكن فى ماله عامر مثلى
فهيهات تزوج التى تقتل الفتى * اذا ما أبت يوما وان كان من أجلى
فتقتلنى يوما اذا هويت فتى * سواى وان اليوم من وصلها يجلى

فانطلق الاشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع فى قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق . وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماما وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت فى قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحى فقال يا ابنة الكرام هل لك فى يد تتخذين بها عندى شكرا قالت ما أحوجنى الى ذلك . قال تنطلقين الى خيمة فلانة كانك تقتبسين نارا فاذا أنت جلست فقولى حيث تسمع زينب

ألا هل لنا قبل التفرق ليلة * ويومٌ فتقضى كلُّ نفس مناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلى رأس زوجها وكان عنده أخ له . فقالت مجيبة لها

لعمرى لقد طال المقامة ههنا * لوان لحب حاجة لقضاها

فسمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

ألا يعلم الزوج المفلى بانها * رسالة مشغوف الفؤاد رجاها

فانتبه الزوج لامرهم وعرف ماأرادت فقال

لحى الله من لا يستقيم بوده * ومن يمنح النفس الطروب هواها

انطلقي يازينب فانت طالق فخرجت من عنده و بعثت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

﴿ في الناشزة ﴾

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجبا فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالتغلبي معجبة فبيناهي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل مابها فذكر امرأته الاولى وأنشا يقول

كلانا على وجد يبيت كانما * بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وزوجها * على الطلة الاولى كذاك ينوح

قيل. وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه . فقال الزوج . أصلح الله الامير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها و بذ ألسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله . قال صدقت وحكم له بها . وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال . مابال هذه المرأة تشكوك . قال اصلح الله الامير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري . قالت من طعامك أفتمن عليّ بطعام أطعمتنيه والكلاب تاكل . قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري . قالت من مالك أفتمن عليّ بثوب كسوتنيه قال وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري . قالت منك ووددت انه في بطني من كلب . قال الرجل اصلح الله الامير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسى وتنكح . قال صدقت فخذ بيدها . قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من اجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعا فانشا يقول

ألا لا أبالي اليوم مافعلت هند * اذا بقيت عندي الجمانة والورد

شديد مناط القصريين اذا جرى * و بيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لايام الهياج وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هندا فكتبت اليه

ألا أقرئه مني السلام وقل له * غنينا بفتيان غطارفة مرد

فهذا امير المؤمنين امرهم * سبانا واغنا كم اراذلة الجند
اذا شاء منهم ناشىء مد كفه * الى كد ملساء او كفل نهد

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فاعطاه اياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له فى الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد * نقاخ فتلكم عند ذلك قرّت
ومنهن من تسقى باخضر آجن * أجاج فلولا خشية الله فرت

فامر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم او خمسمائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلى سبيلها ٭ وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه الفرج الرخجى وكان الفضل صبيحا ظريفا والفرج دميما قبيحا فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعدا يتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهيئة حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تاكل معهما قال الفضل فاعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها . فقلت هل لك من بعل قالت لا قلت فهل لك فى بعل من أصحاب امير المؤمنين حسن الخلق والخلق قالت واين هو . فاشار الى فرج فقالت . جوابك عند فراغنا فلما اكلت قالت للفضل تقرأ شيئا من كتاب الله قال نعم قالت افتؤمن به قال نعم قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فاخبره فامر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه اعرابية جميلة قال فقال لها . هل لك ان تزوجيني نفسك . فقالت من غير توقف

بكى الحسب الزاكى بعين غزيرة * من الحسب المنقوص أن يجمعا معا

وانصرفت . قال العتبى كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فاعجبتني فارسلت اليها الك زوج قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسى وعرفتها موضعى فقالت . حسبك قد عرفناك . فقلت لها زوجيني نفسك فقالت نعم ولكن هاهنا شىء تحتمله قلت وما هو قالت بياض فى مفرق رأسى . قال فانصرفت فصاحت بى ارجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر اسود فقالت . انا كرهنا منك ما كرهت منا . وانشدت

ارى شيب الرجال من الغوانى * بموضع شيبهن من الرجال

وعن عطاء بن مصعب قال . جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت . يا امير المؤمنين لا انا ولا زوجى فقال لها . ومالك من زوجك قالت . مر باحضاره فاحضر فاذا

رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر أن يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن فقال لها عمر اتقي الله وأطيعي زوجك . قالت افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن . ويقال أن المرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحدا فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحدا شهدت جوارحه

﴿ نساء الخلفاء ﴾

علي بن محمد بن سليمان قال . أبي يقول كان المنصور شرط لام موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزوج وابتياع السراري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فاتته وفاتها وهو بحلوان فاهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت .

حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي أني رأيت رؤيا . قال وما هي قالت رأيت كان القمر خرج من قبلي وكان الشمس خرجت من دبري . قال لها لست من جواري مثلي أنت تلد بن خليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال فلك أحد قالت . لي أحد الا الله وما ولدت أمي غيري . قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصلح للولد فاتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهارون قالت ان لي أهل بيت بجرش . قال ومن لك . قالت لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي أم واخوان فكتب فاتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكرا فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب ان تبقين أمة وأحب أن أعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فاتزوجك قالت الصواب رأيت فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدي أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت ما خبر أسماء وكم وهبت لها قال من أسماء قالت امرأتك قال ان كانت أسماء امرأتي فهي طالق فقالت له طلقتها حين علمت بقدومي قال أما اذ علمت فقد مهرتها ألف

ألف درهم و وهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران قال كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابنا فلما ولى المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك . قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال ياخلال أليس قد ولدت منك ابنا قال بلى قال فانا أحب أن تعتقها قال فانها حرة قال فاشهد انى قد تزوجتها قومى يانخلة فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر الف دينار وحول اليه نخلة قيل و وصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقى ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها و بين قبيحة فى المنزلة وكانت جارية لها لياقة وملاحة و وصفت له ربطة بنت العباس بن على فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فابت عليه فاعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها و وصفت له عائشة بنت عمر و بن الفرج الرخجى فوجه فى جوف الليل والسماء تمطل الى عمر أن احمل الى عائشة فسأله أن يصفح عنها قانها القيمة بامره فابى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قنى شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال وكان الهادى يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزى وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كانه جمل هائج منتفخ الاوداج منتقع اللون فاقبل حتى جلس فى مجلسه وكان العزيزى أجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا و بغض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمنا . بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه قال فاطرق طويلا والعزيزى قائم فقال له اجلس ياعزيزى فانى لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أبغض عيشا قال العزيزى وماذاك يا أمير المؤمنين قال لبانة بنت جعفر بن أبى جعفر قد علمتم موقعها منى و إثرتها عندى كلمتنى بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندى احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعا قال وسكت فقال ابن دأب ياأمير المؤمنين انك والله ما أتيت منكرا ولا بديعا قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم و يضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته أسماء بنت أبى بكر وهى أفضل نساء أهل زمانها فضربها فى شىء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هى طالق ان حلت بينى و بينها ففعل و بانت منه وهذا كعب ابن مالك الانصارى عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه و بينها

فقال فلولا بنوها حولها لخبطتها * كخبطة فروج ولم أتلعثم

قال فسرى عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتلهفت وتعجبت من انقطاعى عن الحديثين وهما فى بالى وأنا أعلم بهما منه

﴿ المطلقات ﴾

قيل . كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة ابن شعبة فرآها يوما تتخلل بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقد أنتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ما هو الا من السواك فخلف عليها بعده يوسف أبو الحجاج فولدها الحجاج . وفيها أشعار منها

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث
ظعائن أسلكت نقت المنقى * بحث اذا ونت أى احتثاث
كأن على الحدائج يوم بانوا * نعاجا ترتعى بقل البراث
تؤمل أن تلاقى أهل بصرى * فيالك من لقاء مستراث
تهيجنا الحمام اذا تداعى * كما سجع النوائح بالمراثى

وفى زينب أخت الحجاج يقول النميرى

ولم ترعينى مثل سرب رأيته * خرجن من التنعيم معتمرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة عطرات
مررن بفخ ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
دعت نسوة شم العرانين بدنا * نواعم لا شعثا ولا غبرات
فادنين لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسى والحبرات
أجل الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتجرات
يخبين أطراف البنان من التقى * ويخرجن بالاسحار معتمرات

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال خرج الحارث بن سليل الاسدى زائرا لعلقمة بن حفصة الطائى فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لا بها أتيتك زائرا وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب فقال أنت امرىء كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر فى امرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصبا وحسبا وبيتا فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته

فاريدى ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح قالت الرموز الطماح قالت يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن قالت يا اماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي و يشمت بي أترابي و يبلى شبابي قال فلم تزل بها امها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل والف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبينا هو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بني اسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء و بكت فقال ماشأنك قالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال: ثكلتك امك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فذهبت مثلا اما وابيك لرب غارة شهدتها وخيل و زعتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها الحقي باهلك فانت طالق. وقال

تهزأت ان رأتني لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فان يكن قد علا راسي وغيره * صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد اصيد بها عينا من البقر
عني اليك فاني لا توافقني * عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال وقال الحجاج لابن القرية . ماتقول في التزويج . قال . وجدت اسعد الناس في الدنيا واقرهم عينا واطيبهم عيشا وابقاهم سرورا وارخاهم بالا واشبههم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة امينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها امينة وان قتر عليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تحجز زوجها أبدا ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد ستر حلمها جهلها و زين دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة ان ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره في الارض جرا فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطمها مهزول . قال . يا ابن القرية قم الآن فاخطب لي هندا بنت اسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فاتاهم فقال . جئت من عند من تعلمون والامير يعطيكم ماتسالون افتنكحون ام تدعون . قالوا . انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال . اصلح الله الامير صلاح من رضى عمله ومد في الخيرات اجله و بلغ به امله جمع الله شملك وادام طولك وأقر عينك و وفاك حينك واعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة واسعد السعود واين الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وماهندُ الا مهرةٌ عربيةٌ سليلة أفراس تحللها بغلُ
فان نتجت مهراً كريماً فبالحرى وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال . أدخل على هند وطلقها عنى ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال ان الامير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك فقالت يا ابن القرية ماسررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حبا شديدا فامره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلى طاق اليوم مثلها ولا مثلها فى غير جرم تطلقُ
لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ وخلقٌ سوىٌ مايعاب ومنطقُ
أعاتك قلبي كلَّ يوم وليلة اليك بما تخفى القلوب معلقُ
أعاتك ماأنساك ماذرَّ شارقٌ ومالاح نجمٌ فى السماء محلقُ

فسمع أبو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها . وعن على بن دعبل قال . حدثنى أبى قال خرجت ومعى اعرابى ونبطى الى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين فاكلنا وشربنا فقال الاعرابى . قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش فى بطياثا
فقال الاعرابى لما حثثنا أقدحا ثلاثا
فقال النبطى وامرأتى طالق ثلاثا

ومازال يبكى حتى الصباح فقلت له . مايبكيك . فقال ذهبت امرأتى بقافية / قال اسحق بن ابراهيم الموصلى كنت أنا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها . فقال أحدهم . امرأته طالق ان كان رأى مثلها . وقال آخر امرأته طالق ان لم . وسكت فقال المعتصم . ان لم . قال لاشىء فضحك وقال له ويحك ماد عاك الى طلاق أهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب ومما قيل فى ذلك من الشعر

رحلتْ أميمة بالطلاق ونجوت من رق الوثاق
بانت فلم يجزع لها قلبي ولم تدمع ماقى
لو لم أرح بفراقها لارحت نفسى بالاباق

وخصيت نفسى لا أريـــد حليلة حتى التلاقى

(وقال آخر)

رأيت أثاثها فطمـعت فيها ... وقد نصبت لغيرك بالأثاث

فطلقها وعـدّ النفس عنهـا ... سريعاً ان نفسك فى التواث

والا فالسـلام عليـك انى ... سآخذ من غدلك فى المراثى

﴿ محاسن وفاء النساء ﴾

قال الـكسروى كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائباً فتجشم وسار اليه فى خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهـلاك ويفوزوا بانفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاشا حصانة درعه وضرب بلاش الهندى على عاتقه فقطع حبـله حتى انتهى السيف الى سندوته فخر ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فاحـدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه فقالت للرسـول وهى تبكى . قل للملك المزين بالحلم المحبب فى رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتنى وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت ان تطيب نفسا عن النظر الى حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل . فانصرف الرسول الى بـلاش فاخـبره فاجابها الى ماسألت وسار وحملها حتى قـدم دار المملـكة فبنى لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلات والجوائز والاثاث مالم يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها فى الدخول عليها فاذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجبا منه بها لا تحير اليها جوابا ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع فى قلبه ما اظهرت من خفة مجلسه عليها ولبثت أشهرا لا يدخل عليها فقالت يوم لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه فى طلبى حتى اذا ظفر بى سلا عنى انطلقى حتى تسألى عن عـدة نسائه وأيهن أكرم عليه وأتينى بعـلم ذلك . فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت انى وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليـه من ابنة سائس من سواسه أعجبته فتزوج بها فقالت انطلقى اليها واقرئيها منى السـلام واعلميها انى أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضـنة الى ابنة السائس فابلغتها رسالة مولاتها فقالت لها اقرئيها منى السلام واعلميها انى قد أحببتها وأجبتها الى ماسألت فتصير الى فانصرفت فاخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها فى مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها

بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس بها فلما أنست بها قالت لها . انت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الامر الذى فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك . قالت انى لما عرفت ضعف نسبي وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شيء احظى به عنده مثل المؤاتاة فى الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذنه مع خمول نسبي وقلة جمالى ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذى يليق بهن ففضلنى على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال الا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة فى الباه عند المشغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها قالت لبعض جواريها اذهبي الى فلانة - تعنى ابنة السائس - فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فاخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباها فقال لابنة السائس . ماترين فى اتيانها . فقالت أيها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندى مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهى فى موضع رحمة فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشي باحسن هيئتها متكسرة فى حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته فى صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم ترد فى الخلوة شيأ الا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال . أين ماذكر رسولك من شدة وجعك . قالت ياسيدى كنت متوجعة لفراقك حتى شفانى لقاؤك وقلت ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فيهما هما يتلاعبان ويتذاكران ويتمتعان اذ دخلت جارية لابنة السائس تحيث الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية اذ سيدتى - تعنى ابنة السائس - تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الاولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ . فاغتمتها وهملت عيناها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به . فقال لها الملك ياحبيبتى ماتنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ماتملك . فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لى وقولى لها أرجعك خش نفسك الى لؤم حسبك واهمال ادبك ائتينى الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه . فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك فى رسالتك . قالت ياسيدتى أتاذنين لى فى الكلام قالت تكلمى قالت أيتها السيدة

لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا أعطف على من فضلك ولم يظلم من رفع فوق من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه . فقالت صدقت فدعي عنك كلام الادب فقد ملكتك على رغم أنفك وأنا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه قالت ابنة السائس من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه باسفلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء وانما رقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير فقال الملك وما كان من حديثهما قالت يقال ان ثعلبا جاع في ليلة فرقي شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الاغصان وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فاقعى الى شجرة قصبا مقشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال أنا دابة سال بي السيل فالقاني في جبلكم وقد اصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير اكنانا في الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد ادركت عندنا بغيتك فاقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فاقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخليه قبورا في الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم أدخل يده في جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيرا أو فراخه فاكله ودفن ريشه وجعلت الطير تفقد ما كان يأكل واحدا بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا احد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالامور منا قال وعلى ان اقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب انت هو قال نعم قال ما ظننت

ان يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعنى أردك فى منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أبوىّ أدبانى ان لا اعاق أنيابى بشىء وأاركه اذ ليس من جهلك ان لا تتجز أمن الثمار ومن الاكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل التغرير فى ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن فى عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية . قالت الهندية انما تقر عين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف عن ذهب أبوها وأخوها فبقى بعلها أفتحب ان تهلكه على ان مثلك فى رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة . قال الملك وما كان من حديثهما قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فاخذ من أطيب اللحمان التى قد صارت فيه شيئا فظنوا ان الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجو امن هذا الغراب وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة انى أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لى بمنقارك قدر ما ادخل فان منقارى يضعف عن ذلك فحفر الغراب فى سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت فى البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعا تأوى اليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ماهكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حل بى غدرك وان القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلى ومثلك يا ابنة السائس انى لو وفيت لك ارادنى غدرك وقتلنى مكرك . قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذى سمعت منى كان لشدة الانفة فاردت ان أنفى عن نفسى الذى أردت من انكاحى خادمك فلانا . قالت الهندية لابد من ذلك . فقالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه باسفلها الاان استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته فى فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فافلحا . ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما اخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن مما سالت بد فاقض لى ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت أحدها

ان ترد على ضياعي وأموالي والثانية ان تصعد منبرك بحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتتبرأ مما قـذفتني به والثالثة ان أباك أودعني وديعة فتأمر ان يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته في فيها وعانقت قبر زوجها فماتت

﴿ ضده ﴾

قيل كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام نخالف على كسرى وجمع جمعا كثيرا و واقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جوبين وقال ان كرديا كان غلاما له رباه و بلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر. قال كردي وماذاك أيها الملك أخبرني فما شيء يزيدك الله به عزا و يزيد أعدائك به ذلا الا بادرت اليـه بنصح وصـدق لعظيم حقـك و وجوب طاعتك. قال له كسرى قـد عرفت حال كردية اختـك امرأة بسطام وجراءة قلبها و بسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعـل لها عهد الله وميثـاقـه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته. قال كردي يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لا وجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقـلا و رفقا و بصيرة فكتب كسرى بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب لكردية بنت بهرام جشناسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه و رسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه أتزوج بك وأجعلك سـيدة نسائي وأبلغ من كرامتـك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت أرجيـة حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم أجيبي الملك الى ما سألك واغنمي بذلك الرجوع الى وطنـك فرغبت لشـدة شوقها الى أهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها و بين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ثم فرح بذلك فرحا شديدا فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلا ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كرديا أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاها خاتما فصه من الكبريت الاحمر يضئ في الليلة الظلماء كما يضئ السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كرديا وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم أن كردية قالت لكسرى ياسيدى اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بالخيل فاسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت فى الميدان ولعبت بالسيف لعبا معجبا ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة. قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حبا لنا من أن نخافها على أنفسنا. فلما نزلت قال كسرى. لنا فى كل ربع من أرباع مملكتنا قائد فى اثنى عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن. قالت ياسيدى ما للنساء والفروسية وانما علينا ان نتزين لك ونتطيب ونسرك بانفسنا واردت بما كان منى سرورك وتسلية همومك فامر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقى عندها أسبوعا لم يخرج الى الناس ولم ياذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فاتاه صياد بسمكة عظيمة فاعجب بها وأمر له باربعة آلاف درهم. فقالت له شيرين. أمرت لصياد باربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمرلى بمثل ما أمر للصياد فقال كيف أصنع وقد أمرت له. قالت اذا أتاك فقل له أخبرنى عن السمكة أذكر هى أم انثى فان قال انثى فقل لا تقع عينى عليك حتى تاتينى بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له أخبرنى عن السمكة أذكر هى ام انثى. قال بل. انثى. قال. فاتنى بذكرها. فقال عمر الله الملك انها كانت بكرا لم تتزوج بعد. قال الملك. زه زه وأمر له باربعة آلاف درهم وأمر ان يكتب فى ديوان الحكمة. ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال. عشت ايها الملك بسعادة الجد ورزقت على اعدائك الظفر واعطيت الخير وجنبت طاعة النساء. فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى. ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن فى السن ولست مستغنيا عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتى وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت ان تساله قبولها فافعل. فكلم كسرى الموبذان فى ذلك. فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

فقال . قد قبلتها أيها الملك لايثارها اياى بافضل جواريها . فقالت شيرين لمسكدانة . انى أريد ان تاتى هذا الشيخ فتبدى له محاسنك وتجيدى خدمته فاذا هش لمضاجعتك فامتنعى عليه حتى تركفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يهيالك ذلك حتى لا يعود أن يزيد فى تحية الملك ـ ووقيت طاعة النساء ـ فقالت مسكدانة . افعل ياسيدتى . ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده فى داره التى نحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهى مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدى له ساقها وفخذيها فارتاح الموبذان وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد فى ذلك حرصا فلما ألح عليها . قالت له أيها القاضى ما أنا بمجيبتك الى ما سالت حتى أوكفك وأركبك فان أجبتنى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وبدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها أياما وبقيت تتزين بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها . افعلى ما أحببت . فهيات له برذعة صغيرة وإكافا صغيرا وحزاما وثفرا واقامته عريانا على أربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهى قائمة وركبته وهى تقول خرخر وأرسلت الى سيدتها شيرين لتعلمها بذلك فقالت شيرين للملك . اصعد بنا الى ظهر بيت الموبذان لتنظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هى قد ركبته فوق الاكاف فناداه كسرى ويحك أى شىء هذا فرفع الموبذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال هو ما كنت أقول لك فى اجتناب طاعة النساء فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا . حديث الزباء . ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الصنور وكان جذيمة الابرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فاظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها . فاستشار نصحاءه فقالوا أيها الملك اذا تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدى وسار فى ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل فى ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا فى المصير اليها والانصراف فزينوا له الالمام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له أيها الملك لا تقتل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شان النساء الغدر فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير ـ ببقة حرم الامر ـ ثم ارسلها مثلا . فلما بلغ المرأة قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلت الملك فقال قصير أيها الملك انى رأيت جنودها لم يترجلوا الك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرسا لجذيمة لا يشق غبارها ـ فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فانزلوا واخذت منهم

السلحتهم ودوابهم واذنت لجذيمة فدخل عليها وهى فى قصرها ولم يكن معها فى قصرها الا الجوارى فاومات اليهن بان يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى أثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ماترى قال أرى بظرا ناتئا ونبتا فاشيا ولا أعلم ماوراء ذلك . قالت اما انه ليس من عدم المواسى ولا لقلة الاواسى ولكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب فى النطع فقالت لا يحزنك ماترى فانه دم هراقه أهله فارسلتها مثلا . واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كانها الريح وكان المكان الذى قصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال . لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات . ثم أمرت بأصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم من الحيرة فيأتى طريق الشام يتجسس عن خبره وخاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم فى ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال . ياخير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له . ماوراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثأرك . قال وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو . فذهبت مثلا ثم ان قصيرا أمر بانف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعا فاذنت له فدخل عليها قالت . من صنع بك هذا . قال أيتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى اتهمنى وتجنى على الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بى ما ترين ولم آمنه ان يقتلنى فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لاكون معك وفى خدمتك ولى جداء وعندى غناء . قالت . ثم أقم فعندى لك ماتحب وولته نفقتها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فاقام عندها حولا ثم قال لها . أيتها الملكة ان لى بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لى فى الخروج لحمله فافعلى فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته ان يشترى لها ثيابا من الخز والوشى ولآلئ وياقوتا ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى أتى عمرا فاخبره فاخذ منه ضعف مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ماجاء به وردته الثانية والثالثة فكان يأخذ فى كل مرة مثل أضعاف مالها فيشترى جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته فى الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى أثاثا ومتاعا وفرشا وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ماعلىّ وبقى ماعليك . فقال وما الذى تريد . قال أخرج معى فى الفى فارس من خدمك وكونوا فى أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفى فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه فى الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها

وقال. أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به. فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ماللجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداشديدا

فاجابها قصير سرا وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال. لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فامرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت. اذا كان غدا نظرنا الى ما أتيتنا به. فلما جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان و وصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد. فقال عمرو بيده و بيدى سواء وفى كلهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها و يقول

ولو رأونى وسيفى يوم ادخله فى جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو وهذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى. ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت. قال ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت يسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انه أراد مالك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمرو مغلغلة عوفا وعمرا فما قولى بمردود
بأن بيتى أمسى فوق داهية سوداء قد وعدتنى شر موعود
تعطى عرابة بالكفين مختضبا من الخلوق وتعطينى على العود
أمشى عرابة ذا مال وذا ولد من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام بن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد. اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد رد على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا

ماصنعت بى سبنى على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت . أسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جوار بها فطرحن عليه الشواذكين — يعنى الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن وا أمير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار أعظم من قتل أبيك قال وماذاك قالت يقول الناس ان أباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال انى أرقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال أصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال . ان حدثت بى حادثة ورأيت أهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ماعاش ثم دعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وأمرت خادمها يوما ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال فلانة قالت نعم قال ماحاجتك فاخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمر وقبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبت الجسم والقلب معا ... وبريت العظم مما تلحظين

فارددى قلب عميد واقبلى ... صلة الضعفين مما تريحين

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع أخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها اعجابا شديدا وقال ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لاتقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشتر خصومتك ان أنت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

فاخذت بقلبه وكاد القاضي يجن اعجابا بها وقال يا قرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في مواصلتي وغناء الدهر فانصرفت وبانت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب ان يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضي ان يأتيها اذا تعالى النهار والى الناسك ان يأتيها اذا انتصف النهار فأتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فاقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة أين أختبي فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينما هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ماذا ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت اني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدالك في زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ماتقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم اني أشهدك ان لجميلة عندي ألف دينار ودبعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فاهت ظلامتها اليه فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطي الله عهدا لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بالف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد في المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فاشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك فقال الحجاج . لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها . قال وكان يعقوب بن يحيي المدائني ويحيي الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيي أنا أشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيي ما تجعل لي ان أنا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ماشئت قال برذونك هذا قال نعم . قال فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتني على برذون فاره . قالت انا افعل وأشتري لك بما بلغ الثمن . قال أنت قادرة عليه بغير الثمن . قالت

كيف ذلك. فاخبرها بالقصة فقالت. قد حملك الله على البرذون وأربحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غدا فتعال أنت و يعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا فاذا فعل ذلك وجئت أنا فقل أنت يامهدية لو علمت ماصنع فلان لقتلته. قال نعم. فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته أشنع مما تقدرينه. فوثبت مستشيطة غضبا وقالت. مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقت جيبها الى أن جاوزت أسفل البطن وهى قائمة فنظر الى بطنها فتأملها ساعة وهى تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها و يسكنها و يعقوب يقول وابرذوناه فاخذه منه يحيى. وعن المساور قال كان عندنا بالاهواز رجل متاهل وكانت له أرض بالبصرة وكان فى السنة يأتيها مرة أومرتين فتزوج بها امرأة ليس لها الا عم فى الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الاهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت و بعثت من أو رد خط العم المرأة البصرية وسالت من كتب كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخته توفيت و يسأله القدوم لاخذ ماخلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب و لم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلى لى سفرة قالت ولم قال أريد الخروج الى البصرة قالت وكم هذه البصرة قد رابنى أمرك وما أشك أن هنالك لك امرأة فانكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيرى فقال فى نفسه تلك قد ماتت وليس على أن احلف بطلاقها فارضى هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الاهوازية فقالت الاهوازية ياجاريتها هاتى السفرة فقد أغناه الله عن الخروج قال وماذلك قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

﴿مساوى مكر النساء﴾

وذكروا. ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول فى قبائل العرب فنزل بحى من العماليق فبيناهو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطى هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء مالا بد لهن منه ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذى على رأسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو. فلما نظر لقمان قال يااحدى بنات طبق ـ و بنات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوى عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا أونحوه لاتضرب شيئا الا أهلكته ـ فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يالقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام فى السفط يكون له مثوى حتى يرى و يعلم ان العقاب فيما أتى ويحمله المرأة بفعلها حملوها ماحملت

زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فاتى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينا هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فمضيا جميعا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على أهلى فانا هو ثلاثة أيام أكون فى رجمى ثم تجىء فتستخرجنى فنتمتع فقال الرجل افعلى وكان اسمه الخلىّ وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان ـ ويل للشجى من الخلى فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فاخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمى والله قالت الوسطى صدقت والله. قالت المرأة كذبتما ما أنا لكما بام. قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات جمة ما كان لامنا الا لمة . قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الام صغراهن مرّاهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا فقال لقمان ﴿ عند جهينة الخبر اليقين ﴾

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبرينى . قالت بل قل قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنونى فى رجمى جئت فاستخرجتنى وأتنكر لهم فلا يعرفوننى فنتمتع ما فينا فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا قال ارجموها كما رجمت نفسها فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة فى العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلى فقال يا لقمان هذا فرق بينى وبين أهلى فقال لقمان لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أنثاك وتفرّق بين ذكره وبين أنثييه فقطع ذكره فمات

﴿ محاسن الغيرة ﴾

روى انه اذا أغير الرجل فى أهله أو فى بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيرا يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث . وقال النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له . وروى ان امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت قرب الوساد

وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها . وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد بن مسلم لان يرى حرمتى ألف رجل على حال تكشف وهى لا تراهم أحب الى من أن ترى حرمتى رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن علفة ألا تزوج بناتك فقال أجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن فوافق احدى كلمتيه قول النبى صلى الله عليه وسلم . الصوم وجاء السيئة والاخرى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه . استعينوا عليهن بالعرى وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعد لهن من الطيب والحلى والكساء والفرش والآنية كان فى ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خياناتهن والجناية عليهن لكان فى ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شىء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعرى والجوع ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خاصتها و بطانتها رأسه الى حرمتها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطوء هامة عظيم و بطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة فى أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وغيبت جثتها فى الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحدا قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستتم اللحم والاعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزايينه . وقيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر قالت طول السواد وقرب الوساد وقيل لوأن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقرا وأسقطهم نفسا وأوضعهم حسبا قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتى لقد أسهرت ليلى وأرقت عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فى أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ومنها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الاعراس و يقمن فى المناحات و يظهرن فى الاعياد ومتى كثر خروجهن لم يعد بد من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتم حسنا وأحسن وجها والذى رأت أنقص حسنا لكان ما لا تملكه أظرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا . قال الشاعر

ولاعين ملهى بالنساء ولم يقد * هوى النفس شىء كاقتياد الطرائف

وكانت الاكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك

وكان الرجل عالما بالحكمة موضعا للامانة فى الدماء والفروج والاموال على ظاهره فيأمره أن يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وأن لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلى ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عنى فاجعل منصرفك الى منزلك فى خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهرا امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بالطاف وهدايا وأمرها أن لا تقعد عنده فى أول مرة فاتته بالطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث ان نصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية أمرها أن تقعد هنيهة وان تبدى عن محاسنها حتى يتاملها ففعلت ولاحظها الرجل وتاملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت اخاف أن يعثر علينا ولكن دعنى حتى أدبر فى هذا ما يتم به الامر بيننا ثم انصرفت فاخبرت الملك بذلك وبكل شىء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وأن تحدثه وان أرادها على الزيادة فى المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه اخرى من خواص جواريه وثقاتهن بالطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربد لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الاول وأبدت بعض محاسنها حتى تاملها وعاودته فى المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطا يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضى بعد ثلاث الى بستانه الذى بموضع كذا فيقيم هناك فان ارادك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام وأخبره انك لا تقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فاكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فاخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذى وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبره انى عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فاتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثانى فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فاى الامرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك ام المقام ههنا الوقت رجوعى قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت أكثر من حركتك فى منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التى كان يرسم بها من زنى فايقن الرجل بالشر وأمر ان يكتب له ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وأن ينفى الى أقصى مملكته وتجعل العصا فى رأس رمح يكون معه حيث كان

ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجب بها ذكره وقال من أطاع عضوا صغيرا من أعضائه افسد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته . وفيما يذكر عن انوشروان أنه اتهم رجلا من خاصته فى بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لاهو وجد أمرا ظاهرا يحكم بقتله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما فى ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذرا لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن فى شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حزبنى أمر من أسرار ملك الروم وبى حاجة الى علمها وما أجد نى اسكن الى أحد سكونى اليك اذ حللت من قلبى المحل الذى أنت به وقد رأيت ان تحمل لى مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما فى بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الىّ وفى خلال ذلك تصغى الى أخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجوا ان ابلغ فى ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فأقام فى بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره ورده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك ان تصور صورة الرجل فى جام من جاماته التى يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لانوشروان ومشيرا عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله فى الركاب فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يدا وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام فى يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضوا عضوا وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس . قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل فى دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه ذاك فى الصورة وكلاهما نديم الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته فى الجام فقال له أدبر فادبر فتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية

واحدة فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة أعقل من الانسان إذ كانت تحفى مديتها وتدفنها وانما أهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك أنت عبد ما دمت عند ملك الروم مطلعا على أموره متتبعا الاسرار ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها أطعموه فاطعم وسقى الخمر حتى اذا ثمل قال من سيرملو كنا أن لا نقتل الجاسوس الا فى أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعا ولا عطشانا فأمر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان فى المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل فى الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل فى السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما أراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا أنه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها الا بدأ وهو بها فافترعها وردها الى بعلها ثم أن رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدى بعمليقَ ومعهُ فاركبى * وبادرى الصبحَ بأمرٍ معجبِ
فسوف تلقينَ الذى لم تطلبى * ولم يكنْ من دونه من مذهب

فجعلت تقول وهى تزف

ما أحدٌ أذلُّ من جديس * أهكذا يفعلُ بالعروس
يرضى بهذا يا لقومى حرٌ * من بعد ما أهدى وسيق المهرُ
لان يلاقى المرءُ موتَ نفسه * خيرٌ لهُ منْ فعلِ ذا بعرسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الاسود بن غفار وهو قاعد فى نادى قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وأنشأت تقول

أيصلحُ مايؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجالٌ كثرةً عدد الرَّمل
وترضونَ هذا يالقومى لاختكم * عشية زفت فى النساء الى البعل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء فى المنازلِ والحجل
ودونكمُ طيبَ النساء وانما * خلقتم جميعا للتزين والكحل

فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا تقيم على ذحل
فقبحا لبعل ليس فيه حمية * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما أو أصيبوا عدوكم * بداهية تورى ضراما من الجزل
والا تخلوا داركم أو ترحلوا * الى بلد قفر خلاء من الاهل
ولا تخرجوا للحرب يا قوم انها * تقوم بأقوام شداد على رجل
فيهلك فيها كل وغد مواكل * ويسلم فيها ذو الطعان وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفا شديدا وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادئناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى الملك فقال انى أحب ان تجعل غداءك عندى أنت وجنودك . فقال عمليق ان عدد القوم كثير وأحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الاسود . فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالاكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الاكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والاسود يرتجز ويقول

يا صبحة يا صبحة العروس * حتى تمشت بدم جميس
ياطسم مالقيت من جديس * هلكت ياطسم فهى هيسى

فقتلوه وجنوده جميعا . ومثله الفطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عمليق فى ملك طسم وجديس فى أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود فى مملكته امرأة الا بدأ وهبها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود على ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها الى زوجها خرجت الى نادى الاوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك ومادهاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من أن ينطلق بى الى غير بعلى بعد ساعة فانف من ذلك أنفا شديدا فدعا ببزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من نسائها اللواتى ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا فى خفه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة فى ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن أول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان أغير أهل زمانه وأشجعهم

وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوى امرأة كانت تأتى الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممره فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطرا وهو يقول

ألا ان الخنيفس فاعلموه   كما سماه والده لعين
بهيم اللون محتقر ضئيل   لئيمات خلائقه ضنين
أيوعدنى الخنيفس من بعيد   ولما يلق ما ضه الوتين
لهوت بجارتيه وحاد عنى   ويزعم أنه أنف شفون

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابن المشمعر لقيت ليثا   له فى جوف أيكته عرين
تقول له صددت حذار حين   وأنك نشوأ بطال مبين
وأنك قد لهوت بجارتينا   فهاك عبيد لاقاك القرين
ستعلم أينا أحمى ذمارا   اذا قصرت شمالك واليمين
لهوت بها لقد أبدلت قبرا   وباكية عليك لها رنين

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فاقبل يبادر دخول رجب لأنهم كانوا لا يقتلون فى رجب أحدا فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وماذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب وانى رجل من ضبة غصب أخ لى امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضبا وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمى كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فابت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فاتته وبابت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه باسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أمام توليني وتابى بنفسها   على ضمضم نعما ورغما الضمضم

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ونزل الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلم أنى لست أعشق مبغضا   فكان بنا عنها وعنك عزاء

وقتله فعلم القوم بضمضم فاخذوه فلما أصبح ابرز الى النادي ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل . ويقال ان أول من قال خير قليل وفضحت نفسي فاثرة امرأة مرة الاسدي وكانت من أجمل النساء في زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبد الله حبشيا يرعى ابلها فامرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها بمصر فاقد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبيناهو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فاخبره ان امرأته لم تطهر قط ولا تطهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقي فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسي فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمرك ما تعتادني منك لوعة * ولا أنا من وجد بذكراك أسهد

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نبهتني فقال لها الحقي باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقيني فان كان الرجل في قوله صادقا فسيت له من يقتله فتنقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بامر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم وأخرجوا معهم هندا ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغيرلون هند فقال لها أبوها اني أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذلك لمكروه ولكن انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب فلا آمن أن يسومني مما يكون فيه سبة على باقي عمري قال اني سوف اختبره قبل ان ينظر في أمرك فاخذ حبة من حنطة فادخلها في احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي قال تمرة في كمرة قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت فانظر حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضي غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فاخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت اليك عني والله لاجهدن ان يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية . قيل وكان عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ الى خمر فاشربها * أم هل سبيلي الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاخلاق ذي كرم * سهل المحيا كريم غير ملجاج

فقال عمر أما مادام عمر اماما فلا . فلما أصبح قال علي بنصر بن الحجاج فأتى به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة . قال . ولم وما ذنبي . قال اخرج فوالله ما تساكنني فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضي الله عنه

لعمري لئن سيرتني وحرمتني * ولم آت اثما ان ذا لحرام
ومالي ذنب غير ظن ظننته * وبعض تصاديق الظنون اثام
وان غنت الزلفاء يوما بمنية * فبعض أمانيّ النساء غرام
فظن بي الظن الذي لو أتيته * لما كان لي في الصالحين مقام
ويمنعني مما تمنت حفيظتي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تمنت صلاتها * وبيت لها في قومها وصيام
فهذان حالانا فهل أنت مرجعي * فقد جبّ مني غارب وسنام

قال . فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته . ويروى أيضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقني اذ لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا رب غيره * لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن ربي والحياء يكفني * وأكرم بعلي أن توطأ مراكبه

قال فرجع عمر الى منزله فسال عن المرأة فاذا زوجها غائب فسال ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت وأطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر فكتب الى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال اذا أتت ستة أشهر الى أهاليهم . وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي فاتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشا يقول

وأشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويضحي * على جرداء لاحقة الحزام

فسمع ذلك جاره فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه فقال . أحسنت أحسنت

وتمام الابيات

كأن مجامع الربلات منها * فئام قد جمعن الى فئام

﴿ومنه أخبار الشعراء﴾ قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بنى أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها و بلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتذمم من ذلك وأمر بقميص فغمس فى السم وقال لامرئ القيس البس هذا القميص فانى أحببت ان أوثرك به على نفسى لحسنه و بهائه فعمل السم فى جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمى ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظلمت له نفسى بان جئت راغبا * اليه وقد سيرت فيه القوافيا

فان أك مظلوما فقد ماظلمته * و بالصاع يجزى مثل ماقدجزانيا

قيل وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الايهم الغسانى فنزل عليه واقام عنده وكتب الى النعمان

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب

قيل وكانت امرأة شداد أبى عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فالقت نفسها عليه لما رأت مابه من الجراحات و بكت وكان اسمها سمية فقال عنترة

أمن سمية دمع العين مذروف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

كانها يوم صدت ماتكلمنا * ظبى بعسفان ساجى العين مطروف

قامت تجللنى لما هوى قبلى * كانها صنم يعتاد معكوف

المال مالكم والعبد عبدكم * فهل عذابك عنى اليوم مصروف

قيل ولما أنشد عبد بنى الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته التى يقول فيها

توسدنى كفا وتثنى بمعصم * على وتنحو رجلها من ورائيا

فمازال بردى طيبا من ثيابها * الى الحول حتى أنهج البرد باليا

وهبت لنا ريح الشمال بقرة * ولا برد الا درعها وردائيا

أميل بها ميل الرديف وأتقى * بها الريح والشفان من عن شماليا

رأت قتبارنا وأخلاق شملة وأسود مما يلبس الناس عاريا
تجمعز شتى من ثلاث وأربع وواحدة حتى كملن ثمانيا
سليمى وسلمى والرباب وتربها وأروى وريا والمنى وقطاميا
وأقبلن من أقصى البلاد يعدنني الا انما بعض العوائد دائيا

قال عمر رضي الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدر من كريمة معشر عرق على متن الفراش وطيب

وجدوه شاربا ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

﴿ مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها ﴾

حكي عن سليمان بن عبد الملك انه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينا هي تصب الماء على يده اذا استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فامرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فافاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه . فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الايلة محكمان قال فاين منزلك من العسكر فاوما الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصي وسال عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان أخص من قبلك من المخنثين

وحدث الاصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبة سمعت صوتي فارقها من آخر الليل لما بلها السحر
تدني على الخد منها من معصفرة والحلي باد على لباتها خصر
في ليلة البدر مايدري مضاجعها أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت أبواب ولا حرس فدمعها لطروق اللحن ينحدر

لو تستطيع مشت نحوي على قدم * تكاد من رقة في المشي تنفطر

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه الى سنان فاحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان تحذره وجعلت للرسول عشر آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

استبقني الى الصباح أعتذر * ان لساني بالشراب منكسر

فارسل المعروف في قوم نكر

فامر به فخصي وكان بعد ذلك يسمى الخصي * وعن علي بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا فقال لا تبرحوا فمضى فابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يده فاقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ما شأنهما قلنا لا قال بلغني أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما ينهى الي أخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع في حديثه كانه لم يصنع شيئا . وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال . كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فاهداها للمهدي فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى أنه سمع الربيع يقول ما وضعت بيني وبين الارض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كاسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني ان رددتها من يدي ضرب عنقي فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال اني ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقاني شربة فانا أجد عملها في بدني ثم أوصى بماله ومات في يومه * قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكرا ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يا مسرور اقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين أن يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال يا اسحاق اني أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندي يا أمير المؤمنين سوى جاريتي كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فاحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود أن تغني فغنت

بنى الحبَّ على الجورفلو * أنصفَ المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن فى وصف الهوى * عاشقٌ يكثرُ تاليفَ الحجج
فقليلُ الحبِّ صرفا خالصا * هوخيرٌ من كثير قد مزج

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها اغنى فغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وأصبح بيتكم مهجورا
فلقد أرانى والجديد الى بلى * زمنا بوصلك راضيا مسرورا
كنت الهوى وأعز من وطئ الحصى * عندى وكنتُ بذاك منك جديرا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى يا سيدى فرد المسالة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزلة علية فلما وقف بالباب قال استاذن بامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلمها فخرجت تستقبله وتفديه فقال يا علية هل عندك ما نأكل قالت نعم ياسيدى قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب ووصفتهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجوارى يغنين ثم سقى أخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها وكانت من أجمل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فى أخذ العود وقال يا علية بحياتى غنى

بنى الحبُّ على الجور فلو

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهى فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديدا ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غدا فادخل وعزنى وركب متوجها الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا * لوأن من فيه يفدى
أسكنت قرّة عينى * ومهجة النفس لحدا
ماان أرى لى عليها * منَ التوجع بدًّا

ومنه ما حكي عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنا في نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره باسنانه فقطعه.

ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخف فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شيء وقال عبد الله بن جعفر لابنته . اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء.

قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تاتيه سرا فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغني ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها . ففطن فقال له . أيها الملك بلغني ان الاسد يتتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فاعجب كسرى بمقالته وأمر أن يتخذ له تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فاشرفت على يوما وأنا مع جارية لي فلقيت منها أذى حتى حلفت ان أبيع الجارية فخرجت أريد شراء حوائج لي ومعي الجارية فاتيت دكان خلال لشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تاذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني أريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله أتاذن لي جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضي وطري منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتي قال لا يضرك شيئا فاني أسرع ثم وثب كانه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد. قال ودخل رجل من بني زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي فقال ما يبكيك قالت لانك لا تقبل لا جله عذرا قال يازانية لو رأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارسا مصلوبا وحكي عن ثمامة انه قال للمهدي ان النساء شقائق فمن شقا وان هشيمة نقبت نقبا وكانت هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهدي أن ينزل عنها ففعل وأقام المهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبني بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال أبو طاهر انشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع

بني القعقاع أكرمكم لئيم * وأعظم مجدكم ركب حليق

وأنتم في نسائكم اتساع * وفي أخلاقكم نكد وضيق

وعن عبد الله بن ياسين قال. كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لأبي عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران. استزيريها. فزارتها وجاءت اليها فقالت لها. هل لك في الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدي أنا وليك فزوجيني نفسك فقالت أنا أمتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت أخبرت اخوتها بما كان فقالوا امسكي عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك في الحمام قالت نعم فلما دخلتا معا ماشعرت الخيزران الا بابني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا وأردنا نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل. فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدي بذلك فكان السبب في قتل المهدي محمد بن أبي عبيد الله على الزندقة. و بلغه أيضا عن عونة بنت أبي عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران. هل لك في الحمام قالت نعم. فلما دخلا ماشعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرنيب وجهك. فقال ويلك انما أردت أن أتزوجك قالت لاسبيل الى ذلك فانصرف عنها فأخبرت أباها فقال أحسنت في فعلك

﴿ محاسن القيادة ﴾

الحسن الجرجاني قال حدثني سهم بن عبد الحميد الحنفي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيئوا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشيء الا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة منا لا يدرك طرفاها فقال طريح ماحاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لا بداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك أن تنتقع فيه فررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فنظر الى ففطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك بما ترى وحديث ذلك يجري اذا درنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدي خيرا فخرجت مبادرا الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبني فيه أحد عن لي اعرابي على قعود له فحدث أحسن الحديث وروى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت. من أين أقبلت. قال. لا أدري. قلت وما القصة قال. أنا عاشق لامرأة قد أفسدت على عيشي وقد حذرني أهلها وجفاني لها أهلي وانما

استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد. قلت فاين هى. قال ننزل غدا بازائها فلما نزلنا أرانى طريقا عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق قلت أراه قال فترى الخيم التى هناك قلت نعم قال فانها فى الخيمة الحمراء فادركتنى اريحية الحدث فقلت والله انى آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنقض أضلاعها قالت أوحى هو قلت نعم تركته فى رحلى وراء هذا الطريق قالت بأبى أنت وأمى أرى لك وجها حسنا يدل على الخير فهل لك فى أمر قلت نعم فقير اليه قالت البس ثيابى فاقم مكانى ودعنى حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فانك اذا أظلم الليل أتاك زوجى فقال لك يا فاجرة و يا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما وسبه صمتا ثم يقول فى آخر كلامه اقمعى سقاءك يا عدوة الله فضع السمع فى هذا السقاء واياك وهذا السقاء الآخر فانه واه قلت نعم فاجبتها الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت وقال اقمعى سقاءك فخيرنى الله ان تركت الصحيح وقمعت الواهى فما شعر الا باللبن يتسبسب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقى رأسا ولا وجها ولا رجلا حتى خشيت أن يبدو له وجهى فتكون الاخرى فالزمت وجهى الارض فعمل بظهرى ما ترى فلما تغيب عنى جاءت المرأة باكية فرأت ما بى من الشر واعتذرت وأخذت ثيابى وانصرفت قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليه بسر من رأى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فاطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيبا قال ما رأيت فى الفتيان مثله قال كان منا فتى يقال له الاشتر بن عبد الله وكان سيد بنى هلال وأحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان معجبا بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الاشتر البلاء جاءنى يوما وقال يا نمير هل فيك خير قلت عندى ما أحببت قال فساعدنى على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتى المساء فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا فى شعب وقعدنا هناك وقال يا نمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى بشفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة راعية الضان فتقرئها منى السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكانى قال فخرجت لا أتعدى ما أمرنى به حتى لقيت الجارية فابلغتها الرسالة واعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هى مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فاخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى أتينا الموعد فى الوقت الذى وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشى فدنت منا فوثب اليها الاشتر فتصافحا وسلم

عليها وثبت موليا عنهما فقالا أقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيداء فتتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذى تعلم من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قلت بلى وهل الخير الا عندى فاسالى ما بدا لك فانى منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فالبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائى فادخل فى سترى فان زوجى يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآنا لبنا فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك تنكدك ثم خذه أوذره حتى يضعه ثم يستبد دائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت تنكدى عليه ثم أهويت لآخذه فاختلفت يدى ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطا فضربنى مقدار ثلاثين سوطا حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعونى منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحى وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عنى وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فحدثتنى وهى تحسبنى ابنتها فالقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبى دونها فقالت يا بنية اتقى الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندى فقالت سارسل اليك أختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فمها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهتزت مثل القصبة من الروع وباتت معى ونلت منها الشهوة التامة ووافقتنى أصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئا ألذ مما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث وتضحك منى ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبى فاخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندى ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا أحرمنى الله مكافاتك . وعن رجل من بنى عامر انه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شانها قال فوقفت عليها فاذا هى أحسن خلق الله وجها وأغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت أسالك شيا فهل لك به علم قلت سلى فقالت ايما احسن جردة الرجل أم المرأة قلت الرجل قالت بل المرأة فان احببت ان تعلم

ذلك علمته قلت وكيف اعلمه قالت أتجرد ذلك من ثيابي وارميها عني ثم امشي حتى ابلغ الاكمة ثم
اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت فقلت لك عهد الله ان فعلت لا فعلنه قال
فالقت ثيابها عن أحسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت الى قالت الوفاء قلت
الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابي وانا كابهى الفتيان واهيأهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي
المدى سمعت خرخرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد ازمت
الحجة فناديتها فلم تعرج علي ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فانبعث
بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق
الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلي وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال
عليهم أمري بعثوا الجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وأنا
متبرقع أحسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم قالت لقد أصبحت حديدة
الطرف وقادت الجمل حتى أتت الحي فقالت أم الجارية يا بنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك
العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتني العجوز
وادخلتني الستر وقالت من أنت لا أفلحت قلت بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت
عليها قصتها فقالت نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على ان نبني بابنتي صاحبة
الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام
أمرد فلا ينكرك ولا أراه اقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء وأقبلت واخت لابنتها
وخالتها فالبسنني ثوب العروس وطيبنني ثم دلفن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت امها انا لك
الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستاتيك الكافرة فادخلتني على مثل الاسد الا انه
به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيي وكف عني وطال بي الليل حتى سمعت خرخرة جملي فلم ألبث
الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما فجعلنها مكاني وفتشت عن سرها فاذا هي قد ظلت
مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فنهضت مبادرا الا ألوي على شيء حذرا مما لقيت. /قيل وملك
النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم تر منه سقطة غير هذه وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت
من الكنيسة فاعجبه جمالها فدعا بعدي بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عدي لقد رأيت
جارية لئن لم أظفر بها انه الموت ولا بد من ان اتلطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها قال ومن
هي. قال سالت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشرف الحيرة. قال فهل اعلمت
أحدا. قال لا. قال فاكتمه فاذا اصبحت فجدد لحكم كرامة وبرا فلما أذن للناس بدأ به فاجلسه
معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضا بالاذن له وجمله فانكر الناس
ذلك فقالوا. ما هذا الا لامر فصنع به ذلك اياما ثم قال له عدي. أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق

احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال ياحكم ما كانت نفسي تسمح بهذا الولد ولا لو الدفتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدى فقال ياأباعو يعرما صنع الملك باحد ماصنع بى وما أدرى بما كافيه قال له عدى طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظى بها عدى عنده وعلم حكم انه قدمكر به فى امرأته وفيه يقول الشاعر

ما فى البرية من انثى تبادلها ... الا الذى أخذ النعمانُ من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجى قال . قدم علينا رجلان من أهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة واقساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسلمى وابن أخ له مقيمين بناحية الروحاء فارسل النسوة الى سليمان وابن أخيه أما لكما حاجة فى الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج أزواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحبا يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئا من ذكره لاسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن أخيه فقالا . يا أبا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألونى ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تلهون وتتحدثون أنا الذى أشد حبا وأكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن الى رسولا وعاهدننى لئن أخرجتهم ليحتلن لى حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معى فمازلت أحدثهم بالصدق حتى أخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى أفنيته فاقمت معهم ثلاثة أيام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئا فقلت فى ذلك

انى انطلقت مع قومٍ ذو وحسب ... ما فى خلائقهم زهوٌ ولا حمق
انى لاعجب منهم كيف أخدعهم ... أم كيف آفك قوما ما بهم رهق
أظل فى الارض الهيهم واخبرهم ... أخبار قوم وما كانوا ولا خلقوا
ولو صدقت لقلت القوم قد دخلوا ... حين انطلقنا وانى ساعة انطلقوا
فلو اجاهد ما جاهدت دونكم ... فى المشركين لادركت الاولى سبقوا
ان كنت أبدا جارى من حلائلكم ... والدّهر ذو عنف أيامه طرق
فان كلَّ جديد عائدٌ خلقا ... فلن يعود جديدا ذلك الخلق

قال فظفر أصحابى بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والخيبة مع أتم القيادة والتعب وكذب المحادثة . وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن أبى الفرج الهارونى وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء

في منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ما عهدت وكان لا يكتمني شيئا فقلت مالى أراك مدلها يا أبا الحسن قال رأيت شيئا أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وأتاني مخضبٌ * أومى الينا بيده
أومى بها يخبرني * راحته في كبده
أن الضنى في جسدي * يخبرني عن جسده
فليس للحاسد إلا * خصلةٌ من حسده

ثم شرح لى القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبكَ مطوى على كمده * عبرى مدامعهُ تجرى على جسده
لهُ يدٌ تسأل الرحمنَ راحتها * مما به ويدٌ أخرى على كبده

فقبلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فاصبت فيها ألف ألف درهم . قال السجستاني أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما . عللاني باحاديثكما وابدأ أنت يا حسين قال . نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حرّ وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقي فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كانها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربان عليها قميص لاذٌ جلناريّ ورداء عدني قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة المسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود الهندي على لبتها عبق الخلوق وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كانها تخطر على اكباد محبيها فهي كما قال الافوه الاودي

ليس منها ما يقالُ لها * كملتْ لو أنّ ذا كملا

كلّ جزءٍ من محاسنها * كائنٌ من حسنها مثلا
لو تمنت في براقعها * لم تجد في حسنها بدلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش فامري لي بشربة من ماء تؤجري. قالت. اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الاجر. فقلت لها. يا سيدتي لاية علة. قالت. لاني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء. قلت لها. يا سيدتي هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك. قالت انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال والدلال. قلت لها يا سيدتي فما وقوفك في الدهليز. قالت. هو طريقه وهذا أوان اجتيازه. قلت لها يا سيدتي هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الاوقات أم حبٌّ مستحدث. فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد. وأنشأت تقول.

وكنا كغصني بانة وسط روضة * نشم جنا اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ * فيا من رأى فردا يحنُّ الى فردِ

قلت لها. يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى. قالت. أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فابهت وتهرب الروح عن جسدي وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل. قلت لها. عزيز عليّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مفتنة في أرض البصرة. قالت كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام. فقلت يا هذه ما الذي فرق بينكما. قالت نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شان من الشان وأنبيك أمري اني كنت افتصدت في بعض أيام النيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفراش وأواني الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فمنهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان بثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت بنفسها عليّ تقطعني عضا وقرصا ثم خلونا نمزز القهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة أنا فوقها فحملها السكر على اذ ضربت

يدها على تكتي فختمها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كمصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل على حبيبي وقد التزق قرطي بخلخالي فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعض على أنامله وولى خارجا فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته واستعطفه فلا ينظر الى بعين ولا يكتب الى بحرف ولا يكلم لى رسولا . قلت لها يا هذه أمن العرب هو أم من العجم . قالت هو من جملة ملوك البصرة. قلت من أولاد نبايها أومن أولاد تجارها . قالت من عظيم ملوكها . قلت لها . أشيخ هو أم شاب . فنظرت الى شزرا وقالت انك لاحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد اجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة في بياض عطر لباس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء الا انحرافه عني لانفصالي منه بل حقدا لما رآني عليه . قلت . يا هذه وكيف صبرك عنه فانشأت تقول

أما النهار فهائم واله * وجفون عيني ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكرا * حتى الصباح ومقلتي لا تهجع
كيف اصطباري عن غزال شادن * في لحظ عينيه سهام تصرع
وجه يضيء وحاجبان تقوسا * وكأن جبهته سراج يلمع
وبياض وجه قد أشيب بحمرة * في وجنتيه كانه مستجمع
والقد منه كالقضيب اذا زهى * والغصن في قنوائه يترعرع
تمت خلائقه واكمل حسنه * كمثال بدر بعد عشر أربع

قلت لها يا سيدتي ما اسمه وأين يكون . قالت تصنع به ماذا قلت اجهد في لقائه وانعرف الفضل بينكما في الحال قالت على شريطة قلت . وما هي قالت تلقاه اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة قلت لا أكره ذاك قالت هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة يكنى بابي شجاع وقصره في المربد الاعلى وهو أشهر من أن يخفى ثم صاحت في الدار يا جواري دواة وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كانهما طوماراً فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدي تركي الدعاء في صدر رقعتي ينبيء عن تقصيري ودعائي ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع اياسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي جد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها أنفس ميتة اسرى واخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك

الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنا اذا كرتها سيدي ألست لك محبة و بك مدنفة فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وانقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياي فقلت لها ياسيدتي قد وجب حقك عليّ ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك وكنت قد سألت شربة ماء قالت استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت في الدار أخرجنا الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان أقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الطاسات والجامات واقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتي مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري فلم لا تأمرين إحدى الجواري ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه قالت لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عبالة عنق الليث من أجل أنه * إذا رام أمرا قام فيه بنفسه

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين فلما أصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وابناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد وردفي موكب جايل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته في الذي جرى بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل نعم فصاح في الدار ياجواري أخرجن الينا الذيذا فما كان الا ان طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات فخذين وعجيزتين تختطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٍ من الحب آهُ * ما أقتلَ الحبَّ وأضناهُ

ودون ذلك مكتوب

عيارةٌ مياسةٌ في الخطى * رخيمة الدلّ صيودٌ للرجال

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة أسطر وهي

اذا غضبتْ رأيت الناس قتلى * وان رضيت فأرواح تعود
لها في عينها لحظات سحر * تميت بها وتحيي من تريد
وتسبي العالمين بمقلتيها * فكلُّ العالمين لها عبيد

فناولها الرقعة وقال اقرئي وأجيبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت ومزقتها

وضربت بها فى وجه الغلام وغابت فى الستر فقال لى اما أنت يا شيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه قلت بل أنت استغفر الله من هجرانك اباها وتركك اتيانها والله ما أرى لها فى البشر نظيرا قال لا أفعل ولوانها فى حسن يوسف وكمال حواء فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجرذيلى حتى وردت عليها فاستاذنت ودخلت فبدأت بى فقالت ماوراء الشيخ قلت البؤس والياس قالت لا عليك فان الله والقدر ثم أمرت لى بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لا ل سليمان فلم يكن لى والله الا معرفة خبرها فى العام الذى عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراونهيا وأسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستاذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الى عرفتنى ووثبت الى وقبلت رأسى وقالت يا شيخ الحمد لله الذى جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين تراهم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتى ويسالوننى الرجوع له والله لا نظرت اليه فى وجه ولوانه فى حسن يوسف وكمال حواء فسجدت يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربا الى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا يا شيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتنى خريطة فيها أوراق فقالت هذا أول ماورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز أبيض رقيق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضى عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وابسطت سوط عتبى عليك وحكمت سيف ظلامتى فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى وفرشت نفسك لها على حالتى جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك ولقد ضمنت رقعتى هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهى

قطع قلبى فراقكم قطعا ❋ وكدت أقضى لبينكم جزعا
ما تكحل العين بالرقاد ولا ❋ ينام جنبى فى الليل مضطجعا
لا عيش لى مذ نأت ولا وجدت ❋ عيناى فى الارض قط متسعا

قلت لها أفلا تحدثينى كيف سليت عنه وابتلى قالت كيف لا أحدثك اقتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذ بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أبلى فؤادى وشفنى الارق ❋ والدمع من مقلتىّ يستبق
من حب ظبى أغن ذى دعج ❋ وقلبه للشفاء منطبق

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون سخيمتي ويستعطفوني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي قلت أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغدو ردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الى تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للمنير وزلسيدتي هدية وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها قلت السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لي في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني وقالت من الشيخ قلت الخليع شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار تمالك فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة قالت لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت أيطمع الخنوص من أن يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة قلت لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة قالت في خمس عشرة سنة قلت لها انقصيها أولى بك قالت في ثلاثة سنين قلت لها لحظة أخرى وقد اجتمعنا قالت لا والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت ان يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتني في جوارها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة قالا هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الاول جالسة عليها جبة وشيء مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتني وقالت لا تفكرن في ريبة فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الي وثب الي وقبل بين عيني وقال ياشيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها فقالت بماذا برك سيدي فاقرأتها الرقعة فقالت نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا وقال أوه ياحسين لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لي ولها شان من الشان

﴿ومنه مع الشعراء﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فاذن لها وكتب الى الحجاج يامره بالتقدم الى عمر بن أبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا ان يتهيأ بأجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة في المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهارا فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشانها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطاريف فكانت تتطلع الى عمر كثيرا وكانت تسال من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئا فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فاقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت . قال من مكة . قالت عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله قال ولم يا ابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فاقمنا أشهرا فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا نلهو بها في سفرنا هذا قال فلعله قد فعل قالت فاذهب اليه واساله ولك في كل بيت تاتيني به منه عشرة دنانير فاقبل الرجل وأتى عمر بن أبي ربيعة فاخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تكتم علي قال افعل ثم انشده

راع الفؤاد تفرق الاحباب * يوم الرحيل فهاج لي أطرابي
فظللت مكتئبا أكفكف عبرة * سحا تفيض كوابل الاسراب
لما تنادوا للرحيل وقربوا * بزل الجمال لطية وذهاب
كاد الاسى يقضي عليك صبابة * والوجه منك لبين الفك كابي
قالت سعيدة والدموع زوارف * منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم نجزه * فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا * اذ لا نلام على هوى وتصابي
أيام نكتم وده ونوده * سرا مخافة منطق المغتاب
أخبرت ماقالت فبت كأنما * يرمي الحشا بنوافذ النشاب
فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي * قولي لها في خفية وقراب
أسعيد ماماء الفرات وطيبه * مني على ظمإ وطيب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما * ترعى النساء أمانة الغياب
ان تبذلي لي نائلا أشفي به * سقم الفؤاد فقد أطلت عذابي
وعصيت فيك أقاربي فتقطعت * بيني وبينهم عرى الاسباب
فبقيت كالمهريق فضلة مائه * في حر هاجرة للمع سراب

ثم أتى اليها بالابيات فاعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه في كل بيت عشرة دنانير وقال أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرني أبو بكر العامري قال حدثني

موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فاتاه ابن أبي عتيق . فقال . كيف تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

من رسولي الى الثريا فاني * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتني مجاجة المسك عقلي * فسلوها بما يحل اغتصابي
أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنورة تحير منها * في أديم الخدين ماء الشباب
وتكنفنها كواعب بيض * واضحات الخدود والاقراب
في سخاب من القرنفل والدر * نفيس واها لهمز سخاب
قلت لما ضربن بالسجف دوني * ليس هذا لودنا بثواب
فتبدت حتى اذا جن قلبي * حال دوني ولاذ بالثياب
حين شب القتول والعنق منها * حسن لون يلف كالزرياب
ذكرتني ببهجة الشمس لما * طلعت في دجنة وسحاب
دمية عند راهب وقسيس * صوروها في مذبح المحراب
فارجحنت في حسن خلق عميم * تتهادى في مشيها كالحباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فاقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فاتى منزله فوجده غائبا فانطلق غلام عمر الى عمر . فقال . ان رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا . قال ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فاتاه الغلام فاخبره فقال اسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فاسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله . فقالت لجواريها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلتها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحبا بعمي ما جاء بك يا عم . قال . أنت والفاسق جئتما بي قالت اما والله لو بغيرك تحمل علينا ما اجبناه ولكن ليس لك مدفع أمرر بنا نحوه فاقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك . فقال ما مكة على حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير بن بكار عن

أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثا حلوا . قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الخريت . فقال يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة . قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم عمامته وتركب مركبه كانك ناشد ضالة . قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن انزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريبا ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالدا وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاءبك فقال خالد صدقن والله خدعنني وخدعتك فجلست وتحدثنا فانشدتهن فقالت هند ياسيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فادخلت رأسي في جيبي ونظرت الى هني فاذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه . قال عمر فقلت يا لبيك يا لبيك يا لبيك ثلاثا ومددت في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عرفتُ مصيفَ الحيِّ والمتربعا ... ببطن حليات دوارس بلقعا
الى السفح من وادي المغمس بدلت ... معالمهُ وبلاً ونكباء زعزعا
لهند وأتراب لهند اذ الهوى ... جميعٌ واذ لم نخش أنْ يتصدّعا
واذ نحنُ مثلُ الماء كان مزاجهُ ... اذا صفق الساقي الرحيق المشعشعا
واذ لا نطيعُ الكاشحين ولا نرى ... لواش لدينا يطلبُ الصرمَ مطمعا

وقال عمر ما رأيت يوما غابت عواذله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر . فقلت في تمام ما تقدم

أتاني رسولٌ من ثلاث حرائر ... ورابعة يزكولها الحسن أجمعا
فقلت اطربنّ في الحسن انما ... ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا
لئن كان ما حدثت حقا لما أرى ... كمثل الاولى أطربت في الناس أربعا
وهيجت قلبا كان قد ودع الصبا ... وأشياعه فاشفع عسى أن تشفعا
فقال تعال انظر فقلت فكيف لي ... أخاف مقاما أن يشيع ويشنعا
فقال اكتفل ثم التثم وأت باغيا ... فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فاني سأخفي العين عنك ولا ترى ... مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا
فاقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي ... لموعده أزجي قعودا موقعا
فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني　　فقلن امرؤ باغ أضل وأوضعا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لي　　أخفت علينا ان نغر ونخدعا
فما جئتنا الا على وفق موعد　　على ملاء منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومجلسا　　دميث الثرى سهل المحلة ممرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم　　وحق له في اليوم أن يتمتعا
وفيهن هند تكمل الهم والمنى　　واخداع عيني كلما رمت مهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قصيدته التي يقول فيها

فاتها طبة عالمة　　تخلط الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها　　وتراخى عند سورات الغضب

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدر واعليها وأنت تريدها قوادة . قال ولما هجا كثير بني ضمرة فقال

ويحشر نور المسلمين أمامهم　　ويحشر في أستاه ضمرة نورها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهرا لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقى . فقال جميل أنا رسولك الى عزة فاخبرني ما كان بينكما . قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فاتاهم جميل وهو ينشد ذوداله ففطنت عزة . فقالت تحت طلحة الشمس ذودا هناك فانصرف جميل فاخبر كثيرا فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيت ابنة الشبلي عزة أصبحت　　كمحتطب ما يلق بالليل يحطب
وكانت تمنينا وتزعم اننا　　كبيض الانوق في الصفا المتغيب

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة . قال في أول الصيف بوادي الدوم ومعها جوار يغسلن ثيابا فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلت لها يا عز أرسل صاحبي　　على بعد دار والرسول موكل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا　　وان تامريني بالذي فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم　　بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فلمعت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يا بثينة . قالت ان كلبا يأتينا

من وراء هذا التل فيا كل ما يجد ثم يرجع فرجع كثير . وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن منه . عمر بن شبة عن اسحق بن ابراهيم الموصلي . قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بني منقر أخبث حي وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا فخرجا حتى أشرفنا على الحي وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فانشدتهن قوله

نظرت الى أظعان مي كأنها ... ذرى النخل أو أثل تميد ذوائبه
فاسبلت العينان والصدر كاتم ... بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق جاء الفراق ولم تجل ... جوائلها أسراره ومعاتبه

فقالت ظريفة منهن أبكي اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح ... على القلب آبته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئا له فتنفس ذو الرمة تنفسا كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي ... أقول لها الا الذي أنا كاذبه
اذا فرماني الله من حيث لا أرى ... ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فالتفتت مي الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا ... لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق يعلل جاذبه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بان ينض الدرع سالبه فقالت لها مي قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمرا كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه مي وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها حتى انقض المربع ودعانا الصيف فرحلوا فاقبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت مي فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فاخرج

بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمى يا دار مى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة. فقلت له ماهذا فقال. انى لجليد وان كان منى ماترى فما رأيت أحدا أحسن شوقا وصبابة وعزاء منه// وعن سليمان رواية أبى نواس. قال كنت مع أبى نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانى وخلفه غلام كأنه غصن بان يمشى كاحسن مارأيت فقال ياسليمان اماترى الدرة خلف البعرة ثم قال هل لك ان تاخذ منى رقعة فتوصلها اليه قلت لى فكتبها ودفعها الى فاوصلتها اليه فاذا املح غلام واخفه روحا فقال من صاحب الرقعة قلت أبو نواس. قال أين هو. قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى أروح وكان فى الرقعة

تمر فاستحييك أن أتكلما ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما

ويهتز فى ثوبيك كل عشية قضيب من الريحان أضحى منعما

فحسبك أن الجسم قد شفه الهوى وان جفونى فيك قد ذرفت دما

أليس عجيب عند كل موحد غزال مسيحى يعذب مسلما

فلولا دخول النار بعد تنصر عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وحدثنا الجماز قال كنت يوما على باب عدى الدراع فمر بى أبو نواس شبيها بالمجنون فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربى فقلت له مالك فقال

ان الرزية لا رزية مثلها عوز المكان وقد تهيا المركب

فعدلت به وبالغلام فاقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يعشق غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه وكان أبو الاخطل يخلفه فى الموكب وينبسط اليه فقال له عبيد الله يوما يا أبا الاخطل من لى برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يلقى رشيقا فى الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار فى كل لقية الى ان علم رشيق بما فى نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة. فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبو الاخطل فطلب عبيد الله وتعمد أبو الاخطل رشيقا فرده اليه فلما ظفر به فى منزله خاليا قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الاخطل

لا خير عندى فى الخليل ينام عن سهر الخليل

فولوا لا كفر من رأيت لكل معروف جليل

هل تشكرن لى الغدا * ة ناطق لك فى الرسول
إذ نحن فى صيد الجبا * ل وأنت فى صيد السهول

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتعشيت فى الجميل فأسرعت * وان كنت لست تأت جميلا
ان من مد للقيادة رجلا * لحرى بان يكون نبيلا

وقال آخر

لهواه لا تلاف * وملاه لاختلاف
ليس يقرأ من كتاب الله إلا لا يلاف

وقال آخر

إن الرقاشى من تكرمه * بلغه الله منتهى همه
يبلغ من بره ورأفته * حملان أضيافه على حرمه

﴿ ومن محاسن ذلك ﴾ حدثنا على بن الحسين بن على بن عثمان بن على بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن على بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت ان تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتى ربيتنى واتخذتنى ولدا ثم تريدين ان فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبى طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال على بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفرا وخرجت فأقمت بالاهواز أياما أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد على كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضربا وانها على مفارقته وسألنى القدوم لاصلح بينهما فقال على بن الحسين وكانت لى حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك فى وجهى منه ومن المأموم الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجئت الى جعفرا فأوقعت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقى الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخت الثياب حتى جلست فجلست بينهما فاقبل جعفر يعطينى من نفسه لها كل ما أريد وهى ساكتة ثم قالت ياجارية هاتى العود فاخذته فاصلحت منه حتى تغنت وهى تبكى ودموعها تكف

أرتجى خالقى وأعلم حقا * أنه مايشاء ربى كفانى

لاتلمنى وارفق خليلى بشانى * إنه ماعناك يوماعنانى

قال على بن الحسين فوالله مارأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألهتنى والله عن الغنا فاقمت بالبصرة * وعن الكلبى قال بينا عمر بن أبى ربيعة يطوف بالبيت فى حال نسكه فاذاهو بشاب قددنا من شابة ظاهرة الجمال فالقى اليها كلاما فقال له عمر ياعدو الله فى بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماه انها ابنة عمى وأحب الناس الى وانى عندها لكذلك وما كان بينى و بينها من سوء قط أكثر ممارأيت قال ومن أنت. قال أنا فلان ابن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى على أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف وألفنى فلقيه بعدذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى فى منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه و رحب وقرب فقال ماحاجتك يا أبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فا نزله وألطفه فقال له عمر فى بعض حديثه انى رأيت ابن أخيك فاعجبنى تحركه ومارأيت من جماله وشبابه. قال له اجل مايغيب عنك أفضل ممارأيت قال فهل لك من ولد قال لا الافلانة قال فما يمنعك ان تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فانى أضن به عنه قال الكلبى لا اضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك الله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتى الدواة فكتب

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا * وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء * اذا ماشئت فارقت القرينا
بعيشك هل أتاك لها رسول * يسرك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا الى أخ محب * كبعض زماننا اذ تعلمينا
وذوالقلب المصاب ولو تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا
فقص على مايلقى بهند * وأشبه ذاك ما كنا لقينا
فكم من خلة أعرضت عنها * وكنت بودها دهرا ضنينا
أردت فراقها فصبرت عنها * ولو جن الفؤاد بها جنونا

قال: وقال عمر بن أبى ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتنى جارية كانها دمية فى صفاء اللجين فى ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت على وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى

قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجها قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجرا من قصب فعجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى مضربا فلما توسطته فتحت العجارة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفى وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الاحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسنا وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتى وسلمت على تخيل لى أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب فى شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما ينعتننى أبصرتنى * دون قيد الميل يعدو بى الاغر

قالت الكبرى أما تعرفن ذا * قالت الوسطى بلى هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قلت أنا والله قائلها ياسيدتى قالت ومن هؤلاء قلت ياسيدتى والله ماهو عن قصد منى ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت باعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن فى جارية بعينها ياجوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فاخرجتنى ودفعتنى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائما لا أعقل ما أصنع فمازلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت على وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أى والله قالت فتحب ان اريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس على منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتنى فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهى فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدنر ببياض مفروش بفرش أرمنى فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت على وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهدة الثديين قلت لها اتكى * على الرمل فى ديمومة لم توسد

فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وان كنت قد كلفت مالم أعود

فمازلت فى ليل طويل ملثما * لذيذ رضاب المسك كالمتشهد

فلما دنا الاصباح قالت فضحتنى * فقم غير مطرود وان شئت فازدد

فما ازددت منها وانشحت بمرطها وقلت لعيني اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفي بالرداء مكانها وتطلب شذرا من جمان مبدد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت يا سيدتي قد سبق في الليلة الأولى والله ما هو مني قصد ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت يا عدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها يا جواري ادفعنه فوثبت الجواري فاخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الاولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فضرب لي وبقيت ارقب الوقت هائما فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت علي وقالت يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت افتحب ان اريكه الثالثة قلت اذا تكونين أعظم الناس علي منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا انا في مضرب ديباج اخضر مدثر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علي وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت انت القائل

نعب الغراب ببين ذات الدملج ليت الغراب ببينها لم يشحج
مازلت أتبعهم واتبع عيسهم حتى دفعت الى ربيبة هودج
قالت وعيش أخي وحرمة والدي لانبهن الحي ان لم تخرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
فتناولت كفي لتعرف مسها بمخضب الاطراف غير مشنج

قلت أنا قائلها. قالت يا عدو الله أنت الذي فضحتنا ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت الي يا جواري اخرجنه فوثب الي الوصائف واخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق واسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مضربها اخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما اصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي الف عبد من أتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء أتت وليدة سوداء. فقالت. قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فاعتقتها وأمرت لها بمائتي دينار وأمرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها في بعض الطريق. فاشرفت علي من هودجها. فقالت الي

عنى أيها الرجل . قلت . خاتم أو قميص أذكرك به . فقالت . لبعض جوار بها القى اليه قميصا من قمصى فاخذته وأنا أقول

فلا وأبيكَ ماصوتُ الغوانى * ولا شربُ التى هى كالفصوص
أردتُ برحلتى وأريد حظا * ولا أكل الدجاج ولا الخبيص
قميصٌ مايفارقنى حياتى * أنيس فى المقام وفى الشخوص

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد عبد الملك فى خاصته فدخل اليها . ثم قال يا رملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يحفك الجوارى وبحف الجوارى الخدم والوكلاء لئلا يراك عمر بن أبى ربيعة . قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآنى ساعة قط نخرج من عندها فبصر بمضربى . فقال . لمن المضرب قيل لعمر بن أبى ربيعة قال علىّ به فاتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال ياعمر ما حملك على الخروج من الحجاز من غير اذنى . قلت شوقا اليك يا أمير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الارض بيده ثم رفع رأسه فقال يا عمر هل لك فى واحدة قلت وماهى يا أمير المؤمنين قال رملة أزوجكها قلت يا أمير المؤمنين وان هذا لكائن . قال أى ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هبلتك أمك فقلت يا سيدتى أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فانشأت أقول

لعمرى لقد نلتُ الذى كنتُ أرتجى * وأصبحت لا أخشى الذى كنت أحذر
فليس كمثلى اليومَ كسرى وهرمزٌ * ولا الملك النعمان مثلى وقيصر

فلم أزل معها باحسن عيش وغبطة

﴿ محاسن الذيب ﴾

الاصمعى . قال . اخبرنى رجل من بنى أسد انه خرج فى طلب ابل قد ضلت فبيناهو يسير فى بلاء وتعب وقد أمسى فى عشية باردة اذ رفعت له أعلام . قال . فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت على السلام ثم قالت ادخل فدخلت فبسطت لى ومهدت واذا فى حجرها صبى أطيب ما يكون من الولدان فبيناهى تقبله اذ أقبل رجل امام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعرة دمامة واحتقارا فلما بصر به الصبى هش اليه وعدا فى تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه . فقلت . فى نفسى أظنه عبدالها فجاءنى ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام . فقال . من ضيفكم هذا فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كانها الشمس حسنا وكانه القرد قبحا ففطن لنظرى . وقال . يا أخا بنى أسد ترى عجبا . قال . تقول أحسن الناس وجها وأقبح

الناس وجها فليت شعري كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك. قلت ما أحوجني الى ذلك قال. كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبدا لهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطرحا لكل عمل دنى للعبودية تارة ولرعى الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه اخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه فاتوا أبي وقالوا ابعث لنا فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير. فقلت والله ما أنصفتني ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فانتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندت ضلالها فانا باغيها. فقال قم بالكم فاني أراه آخر يومك فغدوت مقهورا راخلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها فطفقت يومى ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فاتتني بعشاء فتعشيت وأقبلت هذه تستخرمني وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجها. فقلت ياهذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل فابت على. وقالت هل لك أن تدلج على لسجف اذا نام الناس فاغراني والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت وكزتها برجلي قالت ومن أنت قلت الضيف. قالت لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت انى لست في شيء من أمرها فوليت راجعا فواثبني كلب لهم كانه السبع لا يطاق فارادا كلي فانشب أنيابه في مدرعة صوف كانت على وجعل يزرقني فردني القهقرى وتعذر على الخلاص فاهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فاحسن الله الى انه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فادلته وقالت ارق لعنك الله فوالله لولا انه يقتص أثرى غدا لوددت انها قبرك فاستمسكت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضى أن تهور ما تحت قدميها فاذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لا طي لها ولا مرقاة كاشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا متبع قد يردجلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت اباها فقالت ياشيخ أتعلم ان ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالما بالآثار تابعا لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعا فقال لولده يا بنى أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجرا وآخر سيفا أو عصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبري وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت ان أزوجها اياه فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب لى عقلي. قلت وهل الخير كله الا فى. فهات أختكم فقال. مائة بكرة

و بكرة وجارية وعبد . فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فاخرجت أولا والكلب ثانيا وأخرجت ثالثا فانيت أبى . فقال . لا . أفلحت فابن البعير . قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال افعل والله ولا أخذلك فدعا بالابل فاعد منها مائة بكرة و بكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها . قال هى والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا أطاب الله خبرك

﴿ ضده مساوى الدين ﴾

قال وقيل لخراش الاعرابى حدثنا ببعض هناتك . قال : خرجت فى بغاء ذودلى فدفعت فى عشية شاتية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلونى مكانها لئلا أتأذى بالغنم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشنى ويريد فى الظلمة مؤاتاتى فقعدت فاذا أنا برجل بيده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فاخذتها وجعلتها فى شىء كان معى ثم مد يده ثانيا فناولته يدى فاقبضنى على غرمول كمثل الوتد فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندى وتناولت يده فاقبضته على مثل ما أقبضنى عليه ففطن ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مذعورا فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بى من الضحك وأخفيت ما بى وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتى ومعى الملحفة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فاخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ما نا كل نصب من هذا الوطب فاخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو . قلت وما هو . قال صاحب البارحة قلت نعم ان كنت اياه قال الحمد لله الذى اتى بك اذ لو لم تات لظننت أنى اوسوس وذلك انى لصاحبة السترعاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا نطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت اقول حين اقبضتنى عليه اتراها تحولت رجلا وانى لفى شك من مرى حتى اتانى الله بك . فاكلت انا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا اصدقاء ✱ الاصمعى قال اتى خالد بن عبد الله اعرابى فاضافه واحسن اليه و بذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل اشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فاعرض عنه فلبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشله بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث واشرف خالد عليه وهو يقول

وداري اذا نام سكانها ✱ تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم ✱ فان عقاربنا تغضب

قال وكان اعرابى ضيفا لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار

تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشا يقول

لم يخلق الله خلقا كنت اكرهه * الا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به * وهذه شيخة قوّامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ماسمعنا من قبلها باديب * بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علما * فتكاتُ الكؤس بالاحلام
ابن ماجاء من حديث رسول الله * مولاى سيد الحكام
ماعلى مثقل من النوم والسكرا * ن عيب فيما اتى من آثام
ثم ابن الذى به حكم المأ * مون فى الظرف منه والاسلام
ايما ماجد اراد سرورا * باجتماع من معشر الندّام
فعليه طى البساط بما قد * سنه السكر من قبيح وذام
حلت بينى وبين عقلى بارطا * لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت فى العسوف رشيقا * فسقانى بطرفه والمدام
ثم باكرتنى بعتبك واللو * م لقد حدت عن سبيل الكرام
وتغضبت أننى قدت عمرا * ثم ثنيت بعده بغرام
هل رأيت الاله يأخذ مجنو * نا بسكر أو حالما فى منام
لن ترانى معاشرا لك ماعشت * ولو دمت عائشا الف عام
أو ترى تائبا وتستغفر الله * لما كان من شنيع الكلام

(فاجابه راشد فقال)

ياأباجعفر سليل المعالى * ونجيب الاخوال والاعمام
ان يكن قد أتاك عنى مزح * لم يكن عن حقيقة فى الكلام
أو أكن فيه كالذى كان يغدو * بملام عليك فى اللوّام
إننى عالمٌ بانك لم تأ * ت قبيحا ولا ارتكاب الاثام
هو ذنب المدام لاذنب خل * لم يزلْ حافظا لعهد الذمام
ثم ذنب العيون يا ابن حميد * فله الذنب بعد إستغرام
قعدا فى طريق ابرك حتى * عرّضاه للظن والاتهام

فتغمد أخاك بالصفح فالصفح دليل على سجايا الكرام
انني تائب وأستغفر الله لما كان من شنيع الكلام

ماقيل في ذلك من الشعر

فما أعين عشر على ساق نرجس * تضاحك عين الشمس بالمقل الصفر
باحسن ممن زارني بعد هجعة * يميس هوينا في الظلام على ذعر

قال ودب رجل على قينة في مجلس فغنت

ماذا بشوش طرتي * ياقوم في وقت السحر
ماذا يعالج تكتي * ويلاه عذبني السهر

وقال علي بن حمزة

متورد الخدين من خجل * متخاذل الاعضاء من كسل
خاض الدجا والشوق يحمله * وأتاك يمشي غير منتعل
ماراعني الا تدافعه * كالغصن بين الصدر والكفل

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

قالت وأبثثتها سري وبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطي هواك وما ألقى على بصري

﴿محاسن الباه﴾

حكي عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك فقالت ياهذه أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه . قالت أو تحتلمين قالت انه لا تأتي علي ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم . قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كأن رجلا جامعني ولقد رأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة في مراق بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس ايره وضرب به في بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول ما في بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين . حدثني جهم قال قلت لامرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت ما يكثر الاعداد ويزيد في الاولاد حربة في غلاف تناط بحقوي رجل جاف اذا نافس أوهى واذا جامع أنجى . قال وقال أبو غسامة لامرأة من زبيد هي

تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق و يهزني هز الصارم الاعناق ووالله لولا ماذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها الغمر ما أعلمتك قال و ركب الرشيد حمارا مصريا وطاف على جواريه . فقالت له واحدة يامولاى ما أكثر ماتركب هذا الحمار . قال لانه يسب طيفور . قالت فمن يسب طيفور يركب قال نعم قالت فني حر أم طيفور قال فنزل وواقعها وأنشد في مثله

نظرت اليها حين مرت كأنها * على ظهر عادى فتاة من الجن
ولى نظرة لوكان يحبل ناظر * بنظرته أنثى لقد حبلت منى

﴿ ضده في مساوى العنين ﴾

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسالوه فراقها فابى وقال لابيها تطلب لابنتك الباه قال نعم عسى أن ترزق ولدا فان مات كان فرطا وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهرا ثم قال

قد ظنت الدهنا وظن مسحل * أن الامير بالقضاء يعجل
عن كسلاتي والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنح لن تملكني بضم * ولا بتقبيل ولا بشم
الا بزعزاع يسلى همى * يسقط منه فتخي في كمي
يطير منه حزني وغمي

ابن أبي الدنيا ان اعرابيا أخبره ان امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الارض اعف منه ولا ادل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تبيت المطايا حائدات عن الهدى * اذا ما المطايا لم تجد من يقيمها

الرقاشي قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناسا من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا انه اذا لامسها اجار فيها فقضي ان حملت وما مكثت الا ان رأس ولدها فجلس في المجالس فقال له قائل لقد جئت من بلل قبل قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رطب الطباع اذا حركت جوهره * وجدت أعضاءه غرقى من البلل
ولم أهجنه الا أنه رجل * قات سلامته من جانب الكفل

الهلالى قال رأيت وافر بن عصام يساير المهدى فحدثه بحديث فضحك فقلت له حدثنى ما حدثت به المهدى قال سالنى ماعندك للنساء فقلت ماطهن عندى الاحديث ابن حزم قال وما حديثه قلت عمرحتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شعبها فاكسل وأراق على بطنها فاقبل عليها كالمعتذر فقال هذا خير من الزناء قالت كل ذلك لاخير فيه قال وشكت امرأة زوجها واخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجى عياياء طباقاء وكل داء له دواء وقيل فى ذلك

جزاك الله شرا من رفيق * اذا بلغت مز ركب النساء
رماك الله من عرق بأفعى * ولاعافاك من جهد البلاء
أجبنا فى الكريهة حين تلقى * ونعظا حين تعبر فى الخلاء

﴿ محاسن النيروز والمهرجان ﴾

قال الكسروى كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الذهب والفضة والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كياخسرو بن أبرويزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصل فيه أنه فى النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم ايران شهر وهى أرض بابل فيكون النيروز فى أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان فى ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب

وكأنه الضحاك فى فتكاته * بالعالمين وأنت أفريدون

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بارض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ماكتب الله من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه وهو روز مهر فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز للجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بالفى وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى للاشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة أيام لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوما وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روز مهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه فى هذين اليومين أتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول ائذن لى بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما

الذى معك فيقول جئت من عند الايمنين وأريد الاسعدين وسار بى كل منصور واسمى خجسته
أقبلت معى السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاما ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول
له الملك ادخل ويضع بين يديه خوانا من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع
الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقلى واللوبيا
وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل فى جوانب الخوان ووضع فى وسطه
سبعة من قضبان الشجر التى يتفاءل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون
والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب
باسم كورة من الكور ويكتب فى مواضع ابزود وابزائد وابزون وبروار وفراخى وفراهية ناويله
زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب
سنته ودينار جديد وضغث من أسبند ويتناول ذلك كله ويدعو له بالخلود ودوام الملك والسعادة
والعز ولا يؤامر يومه فى شىء اشفاقا من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه
صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندى مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب
ويبتدىء باللبن الحليب الطرى منه قد انقع فيه تمر طرى فيتناول بالنارجيل تمرات ويتحف
من أحب منه ويذوق ما احب من الحلوى وكان يرفع فى كل يوم من أيام النيروز بازا أبيض وكان
ممن يتيمن بابتدائه فى هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى وكان جميع ملوك
فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له فى كل يوم نيروز ماء فى جرة من حديد أو فضة ويقول استرق
هذا الاسعدين ويحمل الايمنين وجعل فى عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة فى سلك
الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات
الارحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز فى يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت باربعة
آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى
قبل النيروز بخمسة وعشرين يوما فى صحن دار الملك اثنا عشرة اسطوانة من لبن تزرع اسطوانة
منها برا واسطوانة شعيرا وأخرى أرزا وأخرى عدسا وأخرى باقلى وأخرى قرطما وأخرى
دخنا وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصا وأخرى سمسما وأخرى ماشا ولم يكن يحصد
ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا حصد نثر فى المجلس ولم يكنس
الى روز مهر من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفؤل بها ويقال
أجودها نباتا وأشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها فى تلك السنة فكان الملك
يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوسا
وخمس نشابات ويناول الملك قيمه على دار المملكة أترجة فكان فيما يغنى بين يدى الملك غناء

المخاطبة وأغانى الربيع وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء وأغانى أفريين والخسروانى والماذراستانى والفهليد وكان أكثر ما يغنى العجم الفهليد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مدح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر فى كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضى يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعر أو صاغ له لحنا كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود فى آربه ماد قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذا قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر باشماره أن يتكلم بالذى يكره عمال ان يستقبلوه به

(العلة فى صب الماء) ذكروا أن العلة فى صب الماء انه كان أول من تكلم فى المهد قبل المسيح زو بن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الاقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث واخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة . وقد حكى أيضا عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين صلوات الله عليه انه قال فى ذلك ان ناسا من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فامر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبى ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا لحاربهم بنى فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه أنى أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فامطر الله عز وجل ليلة صب الماء فاصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله موتوا ثم أحياهم » قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الازل فخطوا زمانا فهزلوا وأجدب بلدهم فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الايام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(فى البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيه اشد فقال اذا أصبحت السماء نقية والارض ندية والريح شامية

﴿ محاسن الهدايا ﴾

قال وكتب الناس فى الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروى عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع فى القلوب المحبة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام . لو أهدى الىّ ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت . وقال عليه الصلاة والسلام . الهدية رزق من الله عز وجل فمن اهدى اليه شىء فليقبله . وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشىء الهدية أمام الحاجة ما ارضى الغضبان ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وروى أن عاملا لعلى رضى الله عنه قدم من بعض الاطراف فاهدى الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وماشرُّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذى لاتصحبينا

فاهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ان قوما من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الاخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فاكلوا الخبيص وأطعم جلسائه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم فى خراجهم وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبغيض وليا والثقيل خفيفا والعبد حرا والحر عبدا وفيها قول الشاعر

مامن صديق وان أبدى مودتهُ * يوما بانجح فى الحاجات من طبق
اذا تقنعَ بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بوّابٍ ولا غلق
لاتكثرنّ فان الناس مذ خلقوا * لرغبة كلما يعطون أوفرق

وقال آخر

اذا أردت قضاء الحاج من أحد * قدّم لنجواك ما أحببت من سبب
ان الهدايا لها حظٌ اذا وردت * أحظى من الابن عند الوالد الحدب

وقد قيل كل يهدى على قدره . وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح اذ أتى على عش قنبرة فيها أفراخ لها فامر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق

يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت فى حجره جرادة فقيل له فى ذلك فقال كل يهدى على قدره . وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغاء ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجوهر الجوهر وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر والحمار المصرى والبغال الهماليج والظرفاء قرب الحرير الصينى مملوءة ماء ورد والمقاتلة القسى والرماح والنشاب والصياقلة والزاردون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما الطف وخف وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشى والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهدو جائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التى لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فانفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء الاتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم اقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والاخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفى الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يمانى فاخر فتحه شبر فى شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فانجده وأرسل اليه عشرين الف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بالفى ألف دينار لارزاق جنده

وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأتبية الديباج المطرفي آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤوسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركبا على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس والف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشمار يخه الياقوت الاحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بألف دينار وبعث اليه الف ألف درهم مثاقيله الف ألف دينار خسرواني وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهري من فضة عينا الشهري جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهري يبول الماء فاذا مال انحط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان وبركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهري ./ فاما أهل الاسلام فلم يسمع مثل هدية حسان النبطي الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فنودي عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أعوانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هديتي فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه ./ واستملح المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين خوانا من جزع ميلا في ميل فقال المأمون أو قبضت الهدية قيل نعم قال أهي في داري أم داري فيها قال بل هي في منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله . وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنواع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وانواع من الاطعمة والاشربة وعشرا من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار . وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه الفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يا امام الهدى سعدت من الدهر بركن من الاله عزيز
وبظل من النعيم مديد * وبحرز من الليالي حريز
لا تزال ألف حجة مهرجان * أنت تقضي به الى النيروز

ونعيم ألذ من نظر المعشـــوق من بعد نبوة ونشوز

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل فى يوم نيروز ثوب وشى منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فاعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه . وقال يا مهلبي انما لبسته لاسرك به فقلت يا أمـير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس . وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هـذا يوم يهدى فيـه الى السادة والعظماء والواجب أن أهـدى الى سيدى الاكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهـل الحرمين فكانت فكرته فى هذا أحسن من فعله

﴿التلطف فى الهدايا﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غـير أنى كرهت أن اخلى هـذا اليوم من سـنة فاكون من المقصرين أو أدعى ان فى ملكى ما يفى بحقك فاكون من الـكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقـه والدينار لعزه فلازلت جليلا فى العيون مهيبا فى القلوب حلوا لاخوانك كحلاوة السكر عزيزا عند الملوك لانحسن أفنيتهم الا بك ولازلت نافقا كنفاق الدرهم . وأهدى أحمد بن يوسـف الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليـه الامراء أعزك تسهل سبيل الملاطفة فى البر فاهديت هـدية من لايحتشم الى من لا يغتنم مالا فلا أكثره تبجحا ولا أقله ترفعا

﴿هدايا النيروز﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل فى يوم نيروز بهذه الرقعة أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك فى اقبال الزمان وبسط بيمن خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة ازهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام 1
بهجـة ايلول وتموز بمواقع تمكين لايجاوزه الامـل وغبطة اليها نهاية ضارب المثـل وعمر بلائك الاسلام وفسح لك فى القـدرة والمدة وامتع برأفتك وعـدلك الامة وسربلك العافيـة ورداك السلامة ودرعك العز والـكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصـدية والازمنة اليك راغبـة منشوقة والقلوب نحوك سامـيـة تلاحظك عشـقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب فى آخره

فداك الزمانُ وأهـل الزمانِ ... امام الهـدى بك مستبشرينا
قـد ألقوا اليـك مقاليـدهم ... جميعا مطيعين مسـتوثقينا
ولا زلت زينـا لاعيـادنا ... وللدين كهفا وحصنا حصينا
بعز بدولتك الصـالحون ... ويشقى بك الشرك والمشركونا

فيارب مشكلة أبرقت ... فجلتها السيف حقا يقينا
بصدق عزيمة مستبصر ... وضرب يقد الطلى والمتونا
وسمت النصارى بشيطانها ... وذلت منها الاغر البطينا
وكم فعلة لك فى المشركين ... أقرت عيونا وأبكت عيونا

وكتب آخر

المهرجان لنا يوم تسر به ... يوم تعظمه الاشراف والعجم
وأنت فيه لنا بدر يضيء كما ... أن السماء ببدر الليل تنسم

وكتب آخر

عيد جديد وأنت جدته ... يا من به للزمان تجديد
لازال طول الزمان يرجعه ... وظل ملك عليك ممدود

وقيل للمازنى أى هؤلاء أظرف فى شعره الذى يقول

جعلت فداك للنيروز حق ... فأنت على أعظم منه حقا
ولو أهديت فيه جميع ملكى ... لكان جليله لك مستدقا
فأهديت الثناء بنظم شعر ... وكنت لذاك منى مستحقا

أم الذى يقول

دخلت السوق أبتاع ... وأستطرف ما اهدى
فما استطرفت للاهدا ... ء الاطرف الحمد
اذا نحن مدحناك ... رعينا حرمة المجد

أم الذى يقول

وكم من مرسل لك قد أتانى ... بما يهدى الخليل الى الخليل
فاظهرت السرور وقلت أهلا ... وسهلا بالهدية والرسول

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذى يقول

فوالله لا أنفك اهدى شواردا ... اليك يحملن الثناء المبجلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة ... من المسك مفتوتا وأيسر محملا

وبعث سعيد بن حميد الى أحمد بن أبى طاهر قارورة ماء ورد وكتب اليه

وزائرة حورية فارسية ... كنشر حبيب حاد يوما عن الصد

تردد يعا في مصيف بنفحة | اذا فقدت وردا تنوب عن الورد
حكى نشرها منه خلائق نشره | كنشر نسيم الروض في جنة الخلد
وشبهتها في صنوها بصفائه | لاخوانه في القرب منه وفي البعد
وأهدت لنا منه النسيم نسيمه | وان كان ان حالت يدوم على عهد

وعن اسحق بن ابراهيم الموصلي . قال دار كلام بين الامين و بين ابراهيم بن المهدى قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندى فابى الامين أن يقبلهما فكتب اليه

هتكت الضمير برد اللطف | وكشفت هجرك لى فانكشف
فان كنت تحقد شيئا مضى | فهب للخلافة ماقد سلف
وجد لى بعفوك عن زلتى | فبالفضل تاخذ أهل الشرف

فرضى عنه ودعاه للمنادمة

﴿هدايا الفصد﴾ قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فاهدى اليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود و رقعة فيها

عفوت وكان العفو منك سجية | كما كان معقودا بمفرقك الملك
فان أنت أتممت الرضى فهو المنى | وان أنت جازيت المسىء فذا الهلك

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا بذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذى تسجد الجباه له | مالى بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها | ما كان الا الحديث والنظر

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها . قال أبو القاسم بن أبى داود كنت عند أحمد بن محمد العلوى وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سر الغداة بوجهك اللعب | وجرى بيمن فصادك الطرب
وتداعت العيدان فى زجل | وتناولت راحلتها النخب
فاشرب بهذا الجام يا ملكى | شربا حثيثا انه عجب
واجعل لمن قد خف فى لطف | من زوره يخشى و يرتقب

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل افتصد المعتصم فاهدت

اليه شمائل صينية عتيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خضب الخليفة كفه من فصده ... بدم يحاكى عبرة المشتاق
تاه الفصاد فما يقام لتيهه ... اذ صار مفتصدا أبو اسحاق
وتوافت الميدان عند حضوره ... قب البطون ذوابل الاعناق
ملك اذا خطر الشراب بباله ... لبس السرور وغلائل الاشراق

فلما قرأه أمر باحضار اسحق بن ابراهيم الموصلى وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحق يردد هذه الابيات حتى أحكمتها شمائل وغنته فكأن سقط الدر ينتاثر من فيها وأمر لاسحق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار . المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه يا أمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب فى الجام بجمام النفس ودوام الانس والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دم الفصد من يدك العاليه ... يداعى لجسمك بالعافيه
كذا الدهر ثوبا من الارجوان ... بديع الطرازين والحاشيه
وعصفر صفحة وجه الربيع ... بصبغ من اسراره الجاريه
فكم روضة نشرت وشيها ... وزهرة روض غدت زاهيه
امام أسال دم المكرمات ... فشجج أقنانها الحاميه
فلا زال فى عيشة راضيه ... ودامت له النعمة الكافيه

قال اليزيدى افتصد المأمون فاهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تعالج من هويت بفصد عرق ... فاضحى السقم فى خلع الخضوع
وجاءت تحفة الالباب تسعى ... بوردفائض فيض الدموع

فقال المأمون لليزيدى ويحك ماتقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا ومن استدق منها فامر لها بمال كثير ووصلنى ببعضه . قال وافتصد عبد الله بن طاهر فاهدى له أبو دلف جميع ما أصاب فى السوق من الورد وكتب اليه

تضاحك الورد فى وجهى فقلت له ... لم ذا فقال أبو العباس مفتصد
فقمت أطلب ما أهديه من طرف ... للفصد فى السوق حتى خانى الجلد

يوم الفصاد له أزرٌ مطيبة * محجوبة لا يراها الجرد والزرد
فاشرب على الورد مسرورا بطلعته * ياابن الكرام فانت السيد النجد

قال عمر بن بابة اعتل المعتصم فاشار اليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فاخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كابدو رعليه شمامات مسك وعنبر فامر بقراءة ما عليه فاذا هو

فصد الامام لعلة فى جسمه * فشفى الاله السقم بالفصد
وجرى الى الطشت السقام مبادرا * وجرى الشفاء اليه بالسعد
يامالكا ملك العباد بجوده * اسلم سلمت بعيشة رغد

فقال يا عمرو من يلومنى على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت فى عينى وخليق أن تتجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آخر جوار به عنده واحظاهن اديه . وأخبرنا ابراهيم القارى قال كنت عند المامون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بارد فقال لابدلى منه فقصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا حجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فظهر الدم فقال له المامون عفرتمونى حلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندرى ماتقول . قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم فى الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه . قال وافتصد أحمد بن عيسى بالرى وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيبانى

فصدت بارض الرى طاب لك الفصد * وفارق نجم النحس طالعك السعد
فاعقبك الحسنى التى لامدى لها * ولا زال برديك الجلالة والحمد
توردت الدنيا بفصدك مثل ما * بفصدك ياابن المصطفى ضحك الورد
فلا أبصرت عيناك ماعشت شانيا * ومن كلّ ماتهواه لاخانك العهد

وفى مثله

ياقاصدا من يد جلت أياديها * ونال منه الذى يرجوه راجيها
يدالندى هى فارفق لاترق دمها * فانّ آمال طلاب الندى فيها

قال وكتب الحمدونى الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا ياطبيب الفصد هل أنت عالم * بما صنعت كفاك فى كف ذى المجد

أسلت دما من ساعد يثنى بها * حيا عندى فاقصد بذرعك فى القصد
فداويت كفا يعلم الناس أنها * دواء من الامحال فى الزمن النكد
ولما أتانا المخبرون بفصده * أردت بان أهدى على قدر ما عندى
وشاورت فاستصحبت آلى وجيرتى * فلم أر أمرى من ثناء ومن حمد

(وقال آخر)

تؤنق من ثنائك فى الهدايا * غداة أردت فصد الباسليق
فلم أر كالدعاء أتم نفعا * وأجمل فى مكافاة الصديق
وأكثرت الدعاء وقلت ربى * يقيك شرور آفات العروق

(وقال آخر)

على طيب أيام التمتع بالورد * فصدت فاصبحت السلامة فى القصد
ولا زلت لازالت من الله أنعم * عليك قرير العين مغتبط الحسد
لقد رمت جهدى طرفة وهدية * اليك فكان الشكر أكثر ما عندى

(وقال آخر)

أيها القاصد العليل الصحيح * بأبى ذلك الجراح الجريح
ان من علق الذراع من الفصد الى الجيد ذاك شىء مليح
أيها الفاصد المهنا له الور * د وفى وجنتيه ورد يلوح

(وقال آخر)

أيها السيد الذى فصد العر * ق وأرخى دونى ذيول السرور
كم تمنيت أن أكون طبيبا * ومنى الصب ترهات الغرور

(وقال آخر)

أجمل جعلت فداك بالجلد * وامنن على بأجمل الرد
لو عاينت عيناك مضطربى * وتفردى بالمد والشد
وتخشعى عند الطبيب كانه * مولى يريد عقوبة العبد
كالنار مبضعة يقلبه * ويدير مقلة حازم جلد
حتى اعتزمت على محاجزة * وصددت عنه أيما صد
ما كان من ألم شعرت به * الا كموقع شرطة الجلد

اذ سال منبعثا سوابقه ... كالنار خارجة من الزند
فسلمت والرحمن سلمنى ... ذوالمن والآلاء والحمد
ما بعد طباخى لمفتخر ... فخر لمن قبلى ومن بعدى
نصب القدور بنفسه كرما ... لنصيب شهوتنا على عمد
فاجاد صنعتها وعجلها ... من غير ما تعب ولاجهد
ونبيذنا صاف ومجلسنا ... فى الطيب يحكى جنة الخلد
فهلم واحضر غير محتشم ... واجعل غذاءك سيدى عندى
لا تجمعن علىّ محتسبا ... ضعف العليل ووحشة الفرد

﴿محاسن الوصائف المغنيات﴾

قال الاصمعى بعث الىّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلنى الفضل بن الربيع ثم دخلنى عليه وقت الغروب فاستدنانى وقال . يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا الىّ وقد أخذتا طرفا من الادب أحببت ان تبرز ما عندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم قالت ما أمر الله فى كتابه ثم ما ينظر فيه الناس من الاشعار والاخبار فسألتها عن حروف القرآن فاجابتنى كانها تقرأ فى كتاب الله ثم سألتها عن الاشعار والاخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابى فى كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئا فانشدت

يا غياث البلاد فى كل محل ... ما يريد العباد الا رضاك
لا ومن شرف الامام واعلى ... ما أطاع الاله عبد عصاك

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة فى نسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه فى تلك الليلة ثم قال لى يا عبد الملك انا ضجر واحب ان تسمعنى حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان تفرج به فقلت يا أمير المؤمنين كان لى صاحب فى بدو بنى فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفى عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا ... مريشة بانواع الخطوب
ترى ريب المنون بهن سهما ... تصيب بنصله مخ القلوب

فقلت قفى شفتى من موضع الطبل ترتعى كما قد أبحت الطبل فى جيدك الحسن
هبينى عودا جوفه تحت متنه يتعنى ما بين نحرك والذقن

فلما سمعت شعرى رمت بالطبل فى وجهى ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقى ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشق لها فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت قد كان هذا فقال يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتانى خادم فقال أنا رسول ابنتك — يعنى الجارية — تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لى بعشرة آلاف درهم

على بن الجهم لما أفضت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه الناس على اقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم احسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال يا على دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فسبقتنى محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا بنفسى خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبى من الوجد اسطرا
فيامن لمملوك يظل مليكه مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويامن لعينى من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فثقلت خواطرى حتى كأنى ما أحسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل أقل نقد والله غرب عنى ذهنى فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال يا على اعلمت انى قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدى ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا على رأيت البارحة فى النوم كأنى صالحت محبوبة . فقالت جاريته شاطر ياسيدى لقد سمعت الآن فى مقصورتها هينمة فقال تنظر ما هى فقام حافيا حتى وصلنا مقصورتها فاذا هى تغنى

أدور فى القصر كى أرى أحدا أشكو اليه فلا يكلمنى
فمن شفيع لنا الى ملك قد زارنى فى الكرا يعاتبنى
حتى اذا ما الصباح عاد لنا عاد الى هجره ففارقنى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها فى التراب حتى أخذ

يدها راضيا عنها . حدث أبو على بن الاسكرى المصرى واسكر هى القرية التى ولد فيها موسى عليه السلام - قال كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخفف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح ولم يطق * نظراً اليه وهده هيجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

قال فاحسنت ماشاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيسليك عما دون دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستودع الله فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فافرط تميم فى الطرب جدا وقال لها تمنى ماشئت فلك مناك قالت أتمنى أيها الامير عافيته وسلامته فقال والله لا بد أن تتمنى . فقالت على الوفاء أتمنى أن أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق فى هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة ثم أصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لى تحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتنى السوداء فقالت تقول لك سيدتى أين نحن . فقلت لها نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لما رأينا القادسية * حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا * ز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب * بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * ء كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد فى بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد فلما قرب الصباح إذ السوداء قد أتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها واخبار القينات

كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

محاسن الجوارى مطلقا

قيل كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج المهائر . وقال السرور باتخاذ السرارى وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى قال وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجوارى وقد علقت الجوارى لانهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

— ضده —

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

وكان يقال الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور . ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبك على اكمة . وقال بعضهم لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع عنها فى الموازين وقال لا خير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

محاسن الموت

فى الحديث المرفوع الموت راحة . وقال بعض السلف مامن مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول « وماعند الله خير للابرار » وان كان مسيئا فالله تعالى جده يقول أيضا « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما » وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت ياأمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين . فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث » الى قوله « وألحقنى بالصالحين » فما دار عليه اسبوع حتى مات رحمه الله قالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حد ناطق ميت وقال بعض السلف . الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه قال الشاعر

وما الموت إلا راحة غير أنه * من المنزل الفانى الى المنزل الباقى

وقال آخر

جزا الله عنا الموتَ خيرا فانه * أبرّ بنا من كلّ برّ وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدنى من الدار التى هى أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت ان مدحوا الحياة فاسرفوا * فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان بقائه بلقائه * وفراق كلّ معاشر لا ينصف

(وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فاننى * أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال لنكك البصرى)

نحن والله فى زمان غشوم * لو رأيناه فى المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال * حقٌّ من مات منهم ان يهنا

﴿ ضده ﴾

فى الحديث المرفوع أكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت . قال الشاعر

ياموت ما اجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

وقال

وكلّ ذى غيبة له إيابٌ * وغائب الموت لا يؤوب

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا أوله هذا لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعفى أثره والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الكتاب : بعون الملك الوهاب ﴾

﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾